مكتبة
الدراسات التاريخية

رواية جديدة عن

فتح المسلمين للأندلس

تأليف: دكتور حسين مؤنس

رواية جديدة عن

فتح المسلمين للأندلس

دعوة إلي ترديد النظم في الموضوع

تأليف

حسين مؤنس

الطبعة الأولي

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر

ت ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس . ٥٩٣٦٢٧٧

تمهيـــــــد :

منذ أكثر من ٦٠٠ سنة قال لسان الدين بن الخطيب (رجب ٧١٢ هـ - ربيع الثانى / نوفمبر ١٣١٣ - سبتمبر ١٣٧٤ م) متحدثا عن فتح الاندلس : " وحديث الفتح، وما من الله به على الإسلام من المنح، وأخبار ما أفـاء من الخير ، على موسى بن نصير، وكتب من جهاد لطارق بن زيـاد، مملـول قصاص وأوراق، وحديث أفول وإشراق، وإرعاد وإبراق ، وعظم امتشـاش ، وآلة معلقة فى دكان قشاش " [1] .

ولا شك فى أن التوفيق لم يصاحب عالم لوشه العظيم فى هذه العبـارة التى أرسلها وزوقها فى أسلوبه الساذج المنمق وفى تصوره انه بلغ من العلـم منتهاه، وهو تصور يثير فى نفوسنا الإعجاب بذلـك الرجـل احيانـا والحـب والرثاء له أحيانا اخرى.

فإننا لا زلنا إلى يومنا هذا نبدى ونعيد فى تفاصيل فتـح الاندلـس، وكلما حسبنا أننا انتهينا إلى قول فصل جاءنا ما يذكرنا بالحقيقة العلمية التـى تقول إن العلم لا يعرف قط ذلك الشئ الذى نسميه بالكلمـة الاخـيرة فـى اى موضوع...

وقد تراكمت الأبحاث لدينا عن فتح الأندلس بصورة تدعو الى العجـب حقا ، وقد بلغ الأمر بواحد من أجلاء الباحثين وهو إميليو غرسيه عومـس ان

---

[1] رواه المقرى فى نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس ، بيروت١٩٦٨ م) ١ :٢٣٠.

القى ظلا كثيفاً من الشك على الموضوع كله فى بحث طريف[1] له نشره عن كتاب "فتح الأندلس" لمؤلف مجهول نشره من نحو قرن العلامة الاسبانى خواكين د جنثالث ونعيد نحن تحقيقه اليوم.

ولكننا نلاحظ أن هذه الأبحاث كلها تقوم على تفسيرات جديدة لنفس النصوص التى كانت بين يدى ادواردو سابدرا عندما قام ببحثه القيم عن فتح العرب للأندلس (٢) فيما عدا بعض نصوص كانت قد غابت عن التفات الباحثين فأبرزناها وأعطيناها حقها فى دراستنا للفتح فى كتاب "فجر الأندلس" [3]، وفيما عدا تفاصيل جديدة وجدها أحمد مختار العبادى فى الجزء الذى عنى بتحقيقه ونشره من كتاب "الأكتفاء فى تاريخ الخلفاء" لأبى مروان عبد الملك بن الكرديوس الخاص بتاريخ الأندلس، وفى الشروح الضافية التى كتبها محمد بن على بن محمد بن الشباط المصرى التوزرى (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢ م) للمدحة النبوية المعروفة باسم "القصيدة الشقراطيسية" التى نظمها أبو عبد الله محمد الشقراطيسى (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م) وهى شروح مطولة أدرج فيها ابن الشباط معلومات كثيرة عن فتوح الاسلام تضم الكثير من التفاصيل حقا عن فتح الأندلس ووصف بلاده. وقد قدم أحمد مختار العبادى للنصين بمقدمة أضافية تناول فيها فتح الأندلس من جديد وابدى

---

(١) Emilio Garcia Gômez, Novedades sobre la Crônica anênima titulada. Fatb al. Andatuse, apud, Annales de l'Institu d'Etudes Orientales de la Facultè des Lettresd'Alger, Tome XII, 1954, pp.31.42.

(٢) Eduardo Saavedra, Estudio sobre la Insasion de les Arabes en Espana. Madrid 1882.

(٣) حسين مؤنس ، فجر الأندلس ، القاهرة ١٩٥٩م

آراء وملاحظات ذات قيمة كبيرة سنشير إليها فى سياق هذا البحث [1].

ولكن نقطة البداية لكل الدراسات المعاصرة لفتح المسلمين للاندلس هى كتاب سابدرا الذى أستوفى فيه دراسة كل ما سبقه من ابحاث فى الموضوع بما فى ذلك بحث راينهارت دوزى الذى نشره فى الجزء الاول من "أبحاثه" المشهورة.

والنقطة الرئيسية التى ميزت دراسة سابدرا وجعلت له مكانا فريدا بين مؤرخى اسبانيا الإسلامية هو قوله بأن القضاء على قوة القوط تم على مرحلتين لا مرحلة واحدة كما كان الناس يظنون: الأولى تتمثل فى اللقاء الكبير المعروف بين قوات طارق بن زياد وقوات لذريق ابتداء من ٢٨ رمضان ٩٢هـ/١٩ يوليو ٧١١م فى السهل الواقع بين جبل رتين Sierra del Retin وبحيرة الخندق Lago de la Janda ومجرى نهير البرباط، وفى هذا اللقاء على رأى سابدرا انكسرت شوكة القوة القوطية وأبيد معظم رجالها، ولكن لذريق نجا بحشاشة نفسه وعبر نهر البرباط مخلفا وراءه ثقله وذخائره. وأراد عبور النهر فلسق نعله بالطين فتركه ومضى على وجهه. فلما عثر العرب على النعل ظنوا أن الرجل قد قتل. ثم انطلق نحو الشمال وتلاحقت به فلول الناجين، ومضوا حتى استقروا فى موضع جنوبى سلمنقه وقرب بلدة تمامس الحالية.

أما المرحلة الثانية فكانت بعد أن نزل موسى الأندلس وسار فى خط فتوحه المعروف، فلما اقترب من طلبيرة غربى طليطلة، وكان طارق ينتظر هناك، ظن لذريق ومن معه من القوط أن الفرصة قد سنحت لمباغتة جيش

---

(1) أحمد مختار العبادى تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط نصان جديدان صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد، مجلد ١٣ ، مدريد ١٩٦٥م ص ٧ - ١٢٦ ومجلد ١٤ ص ٩٩ - ٦٤=

موسى قبل أن يلتقى مع جيش طارق، فانقضوا على جيش موسى عند موضع يسميه صاحب "فتح الأندلس" السواقى أو السوانى فى حين تسميه الترجمة الاسبانية لنص الرازى Saguyue . وقد وقف سابدرا وقفة طويلة عند سجوبة Saguyue هذه ، ولاحظ أولا أنها قريبة الشبه من لفظ السواقى فسان مفردها ساقية، إذا كتبت بالأفرنجية كانت Saquia ، ثم مضى يبحث عن سجوية فوجد ان بعض مؤرخى الاسبان الذين كتبوا عن لذريق (ويسمونه الدون رودريجو آخر ملوك القوط Don Rodrigo el ùltimo rey godo) ، ويطلقون على الموضع الذى قتل فيه أسم Sanguyuela أو Sangonera فرأى فى ذلك ما يؤيد ظنه. ثم أنه قرأ فى حوليات ألفونسو الكبير أن بعضهم راى قبر لذريق فى بلدة بازو أو بيزيو Viseu قرب تمامس عند موضع يسمى Saguyuela los Cornejos وعليه كتابة باللاتينية تؤكد موته هناك، فقطع بأن ما ذهب اليه صحيح، وقرر بصورة نهائية أن المعركة الأخيرة بين لذريق والمسلمين وقعت فى هذا الموضع، وهناك انتهت حياة آخر ملوك القوط [1] .

ولم يبتكر سابدرا نظريته هذه ابتكاراً بل اعتمد فى القول بها على ما ذهب إليه مؤرخ إسبانى قديم هو بدرو دل كورال الذى اعتمد على "مدونة الفونسو الثالث التى تذكر اسم الموضع الذى قتل فيه لذريق فى صورة Saguyue وتربط بينه وبين ما جاء فى نفس المدونة من العثور على قبر يحمل شاهده عبارة تدل على أنه قبر لذريق وذلك فى مدينة بازو التى تكتب فى الأسبانية أحياناً Viseu [2].

= والمقدمة التى ذكرناها توجد فى مجلد ١٣ ص ٢٠ وما يليها

(١) عرضنا ذلك بالتفصيل فى كتابنا "فجر الأندلس" ص ٩٨ وما يليها .

(٢) Pedro del Corral. Crônica del Rey Don Rodrigo con la Destrucciôn de Espana, p . 145.

وقد ورد نفس الخبر فى هذه المدونة نقلاً عن مدونة تسمى بمخطـــوط روطة Codice Rotense ونشرت فى مجموعة تســـمى "المدونـــات الاولـــى الخاصة بالاسترداد" ظهرت فى مجلة أكاديمية التاريخ الاسبانية.

Las Primeras Crônicas de la Reconquista en Boletin de la Academia de la Historia, t. C. Cuaderno 11, pp . 562 – 628.

وهذا النص يقول :

Nostris temporibus quum Civitas Viseo et Suburbio ejus jussum nostrum esset populatus in quidam ibi basilica monumentus inventus est ubi desuper epitafion hujusmodi est conscriptus : Hic requuiescit Rudericus ultimus rex gotorum.

وهو نص باللاتينية الدارجة التى كان يكتب بها الكثيرون من رهبـــان العصور الوسطى، ونستطيع ترجمته كما يلى : وفى أيامنا هذه وفى مدينة بازو وما حولها يذيع بين عامة الناس القول بأن فى كنيستها قبر عليه شاهد يقـول: هنا يرقد رودريكوس (لذريق) آخر ملوك القوط" .

وعن مدونة الفونسو الثالث هذه أخذت هذا النص المدونـــة الاسـبانية العامة الأولى التى صنفت للملك الفونسو العاشر المعروفة بأســـــــــم: La Primera Cronica General de Espana هذه المدونة التى كان الفـــراغ من كتابتها سنة ١٢٨٩ م نجد خبر وجود قبر لذريق هذا فى مدينة بازو. وتلك المدونة تنقل فى جزئها الخاص بفتح العرب لاسبانيا عن تاريخ احمد بن محمــد الرازى وتضيف إليه معلومات أخرى ترجع إلى عصر تحريرها، ومن الواضـــح ان القول بوجود هذا القبر لا يوجد عند الرازى، لأن الرازى توفى فـــى القـــرن الرابع الهجرى بل هو من الإضافات التى أدخلها المسترجمون الإسـبان علـــى الأصل، وهو خبر مشكوك فيه، ويزيد شكنا أنه يقول بعد ذلك ان لذريـــق قتـــل

عند نهر وادى الطين Guadalentin وهو أحد نهيرات نهر شقورة Sagura وهو نهر مرسية، فأين بازو التى تقع قرب سلمنقه من وادى الطين فى ناحية مرسية؟ ولا بد أن نلاحظ هنا أن أسم وادى الطين يرد فى صورة Guadalet وهى صورة تحتمل أيضاً أن يكون المراد بها وادى لكه الذى يكتب أحيانا عن طريق الخطأ Guadalete .

وورد ذكر قبر لذريق وشاهده كذلك فى المدونة البرتغالية المعروفة بأسم Crônica General de Espanba de 1344 . وهذه المدونة تعتمد أساسا على مدونة ألفونسو العاشر التى ذكرناها، ولكنها تقتبس من تاريخ الرازى وجغرافيته فقرات أكثر مما نجد فى مدونة الفونسو العاشر، ولهذا فأن لها اهمية خاصة بالنسبة لنا.

ومعنى هذا أن نظرية سابدرا تبدو مقبولة فى جملتها ، فقد اعتمد الرجل فى القول بها على أصول قديمة موثوق فيها وانتفع بها انتفاعا سليما، وكيف كان يمكنه مثلا أن يهمل ذلك الخبر الذى يقول بوجود قبر لذريق فى بازو؟ ولم يكن الرجل يجهل أن ذلك الخبر أضيف على نص الرازى على يد مترجمى الفونسو العاشر، ولكنه حقق الأمر تحقيقاً علمياً صحيحاً، واجتهد حتى حقق أسم موضع Saguyue الذى ورد فى بعض مخطوطات الترجمة الإسبانية السيئة حتى وصل إلى أنه يقابل قرية Saguyela de los Cornejos وهى قرية غير بعيدة عن بازو، فهى من توابع مدينة تمامس Tamames فى محافظة سلمنقة وكل هذا جعله يؤكد القول بهذا اللقاء الثانى الأخير بين لذريق والمسلمين.

وقد اتجهت إلى الأخذ بهذا الرأى فى كتابى "فجر الأندلس" اقتناعا منى بما أورد سابدرا من البينات ، ثم اننى عند ما تتبعت سير الفتح استوقفتنى

المقاومة فى نواحى قورية وماردة وما يليـــها شـمالا، ومـن المعـروف أن « يمونيت أخذ برأى سابدرا واعتبره قضية مسلمة لا شك فيها.

ومع ذلك فقد رفض الأخذ بهذا الرأى مؤرخ اسبانى كبير هـو خـوان منئذ ذ بيدال Juan Menèndez Pidal ابن أخى العلامة المشهور دون رامـون منند ذ بيدال(١) . أما ليفى بروفنسال فقد قال عن رأى سابدرا أنه استنتاج فيـه غرر كثير(٢) : Une Conclusion assez hasardeuse ولكنه مع ذلك لم يقطـع برأى فى الموضوع.

ثم إن هناك مؤرخين آخرين كثيرين قبلوا ذلك الرأى ومنهم كمـا قلنـا فرانثيسكو سيمونيت الذى حقق كل الفقرات التى استند إليها سادرا تحقيقا بالغا وقرر أن نظريته صحيحة بل أيدها بأصول أخرى (٣) ، وقـد انتفعـت بالمـادة الغنية التى أتى بها سيمونيت وراجعتها كلها علـى أصولـها عنـد مؤرخينـا العـرب وفى المدونات النصرانية وأتيت بذلك كله مفصلا فى"فجر الاندلس" (٤).

---

(١) Juan Menèdez Pidal, Leyendas del último Rey Godo, pp. 141. 142.

(٢) Lèvi – Provençal Historia de l'Espagne Musulmane 1, 25.

(٣) Francisco Javier Simonet, Historia de los Mozàrabes de Espana, (Madrid, 1 8 9703), pp 23 – 29 .

(٤) وواضح أننا نقوم بهذا الجهد فى دراسة تاريخ الأندلس خدمة للحقيقة والتاريخ، رغم لا نرجو ـــــــ وراء ذلك إلا مجرد الذكر ، وهو أقل ما نطلبه من دلائل العرفان ولكن زميلا معاصرا هو د. الســيد عبد العزيز سالم أخذ ثمرات الجهد الطويل والقراءات المضنية فى مدونات لاتينية وكتب أسبانية عتيقـة لا توجد إلا فى المكتبات الاسبانية فى مدريد والاسكوريال وشـــانت مـــانقش ة simoncas وأدرجها فى كتابه عن "تاريخ المسلمين وحضاراتهم فى الأندلس" دون أن يفكر فى الاشارة اليــنا لا ادا تصور أننا وقعنا فى خطأ ولن أعلق على ذلك بشئ، ولكنى أستأذنه فى أن أعيد على الاخـــد عنـا ـ فلهذا نكتب الكتب ـ وذلك بتصحيح شئ أخذه منا وأساء أستعماله

فقد أوردت فى ص ١٠١ من فجر الأندلس النص اللاتينى لأول عملة ضربها موســى بن نصـير فى الأندلس وذلك النص لاتينى وهو

In Nomine Domini. Non Deus nisi Deus. Solus Sajiens, Non Deo Similis alius.

ولكن سانشيث البورنوث رفض رأى سابدرا رفضاً باتا، وقرر فى بحث مطول ممتع له أن المعركة بين لذريق والعرب كانت واحدة هى التى دارت عند بحيرة الخندق، وقرر أن لذريق قتل قرب شذونة غير بعيد عن موقع المعركة.

وخلاصة كلامه أن لفظ Saguyue الذى يرد فى الترجمة الاسبانية الرديئة لتاريخ الرازى يرد فى نسخ أخرى من نفس الترجمة فى صور مثل Sigonera أو Sagonera وعلى هذا فلا يجوز التمسك بقراءة واحدة للفظ وهى Saguyue ثم القول بأنها قرية Saguela de los Cornejos قرب تماس فى محافظة سلمنقه. ثم يقول أن Sigonera أو Sagonera ما هما إلا تحريف لاسم شذونة اللاتينى القديم وهو Gigonza أو Saguntia . وهذه الصورة الأخيرة لاسم شذونة هى أصل التسمية العربية والحالية : (Saguntia = Sadunna شذونة = Sidonia) ويرى سانشيث البورنوث ان لفظ Saguyue وصورة الأخرى التى ترد فى الترجمة الاسبانية لنص الرازى إنما هى تحريفات للفظ السوانى أو السواقى الذى ورد فى "فتح الأندلس" لمؤلف مجهول نقلا عن أصل الرازى، وعبارة "فتح الاندلس" هى :

= فأخطأ فى نقل الفقرة الأخيرة من العبارة فجاءت عنده Non Deus Alios وقد كنا تركنا ترجمة هذا النص لسهولته ووضوحه لمن يتجشم مثل هذه الأبحاث ، ولكن الدكتور السيد سالم أراد أن يتمم عملنا فترجم النص هكذا : الله واحد والله عالم والله ليس له كفوا

ونستطرد عن الخطأ اللغوى العربى الذى وضعنا تحته خطاً مع فداحته ونستطرد كذلك عن تأويله تعليقاً على ترجمته وهى اختصار من الآية الكريمة (ثم يورد نص سورة الإخلاص) لأن الآيات لا تختصر ، وإنما تضمن أو تقتبس، ولا يجوز الاختصار فى كلام الله، ثم أن سورة الاخلاص ليست آية كما قال بل هى سورة أما صحة الترجمة فهى

بسم الله لا إله إلا الله واحد عليم ليس كمثله إله غيره

فانظر — هداك الله — كم خطأً وقع فيه فى إكمال سطر واحد مما كتباه

"وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السواني، فقيل إنه وجد قتيلا وهو لا يعرف، وقيل إنه أراد العبور في الوادي فغرق فيهز ووجد في ذلك الموضع خف، منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله" .

ولفظ السواني هذا يمكن قراءته السواقي، وهي القراءة الأصح، ومخطوطة الكتاب بين أيدينا الآن نعدها للنشر[1] .

وعاد إلى الموضوع مرة أخرى بحاثة إسباني آخر معروف بالدقة البالغة والاصالة في الرأي والمعرفة بتحقيق الاعلام الجغرافية هو فيلكس ايرنانديث. ففي نهاية مقال له عن "مخاضة الفتح"(٢) التي يسرد ذكرها في بعض النصوص العربية وقف عند لفظ السواني أو السواقي الوارد في "فتح الأندلس" وردد النظر في آراء سابدرا وسانشيث البورنوث. فقال أنه لا يرى الأخذ بكلام سابدرا، ويرفض القول بقيام معركة ثانية بين لذريق والمسلمين عند تمامس، ويرى أن الحجج التي استند إليها بدرو دل كورال في ذلك القول غير مقنعة. وهو يستند في ذلك إلى أننا عثرنا على الترجمة البرتغالية لنص الرازي في وصف الأندلس ، وهذه الترجمة البرتغالية هي الأصل الذي عملت منه الترجمة الإسبانية الرديئة التي نشرها بسكوال جايانجوس سنة ١٨٥٢م وكتب بحثا في أصالتها وقيمتها العلمية رغم رداءتها (٣) .

---

(١) مخطوط المكتبة الأهلية في الجزائر ، رقم ١٨٧٦ م من فهرسة فانيان ص ٣

أنظر Claudio Sànchez Albornoz: Donde y cuàndo murio don Rodrigo? En Cuadernos de Historia de Hispana . 111, p . 5-105 . Buenos Aires 1945.

(٢) Fèlix Hernàndez Gimènez, Acerca de Majàdat al Fatb y Saguyue. Al-Andalus, XX1X, Fasc. 1, 1964, p. 18 sqq.

(٣) Gayangos, Pascual de, Memoria sobre la autenticidad de la Crônica Denominada del Moro Rasis. Memorias de la Real Academia de la Historia. Madrid, 1852.

وهذه الترجمة البرتغالية ترد في سياق المدونة البرتغالية المعروفة بأسم مدونة ١٣٤٤ التي نشر لويس فيليب لندلي سينترا الجزء الثاني منها في لشبونة ١٩٥٤ م [1].

يقول فيليكس إيرناندث أن هذه الترجمة البرتغالية تعطينا إسم الموضع الذي قتل فيه لذريق في الصور التالية: Sagaynera, Sigonera, Sagoneira وsogoynera ولا نجد من بينها صورة Saguyne التي جعلت بدرو دل كورال يفترض وجود موضع قريب الاسم منها في ناحية بازو، وهذا هو الأساس الذي استند عليه سابدرا.

ثم تناول لفظ السواني الذي ورد ذكره في "فتح الأندلس" فقال إن قراءته الأصح هي السواقي، ثم أن حرف الواو الوارد في اللفظ اذا كتب بالاسبانية على طريقة قدامى المترجمين الاسبان جاء في صورة gu فهم إذا قالوا "وادي" قالوا guadi فالوادي الكبير هو Guadalquivir والنويري هو al- Noguairi وهاتان الصورتان قريبتان من الصور الواردة في الترجمة البرتغالية، وليس بينها واحدة تقرب من Saguyue وإذن فلا محل للقول بوقوع معركة عند Sogoyuela de los Cornejos (كما يقول سابدرا) ولا محل للقول بأن هذه الصورة تحريف للفظ Saguntia وهو الاسم القديم لشذونة (وهذا رأى سانشيث البورنوث) . وأما العبارة الخاصة بقبر لذريق في كنيسة في بازو فيرى فيليكس إيرناندث أنها ليست من كلام الرازي وإنما أقحمها المترجم نقلا عن أصل آخر.

---

(1) Cronica General de Espanba de 1344, volume II, ediçao critica do texto Portu. Gues por Luis Filipe Lindley Cintra. 1954 . p. 330 spp.

ودرس أحمد مختار العبادى ذلك كله فى بحثه الذى أشرنا اليه فى مفتتح هذا المقال، وقد أداره كما قلنا على ما ورد عند ابن الكردبوس وابن الشباط عن اللقاء بين لذريق والمسلمين، فأما أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزرى الذى عاش فى النصف الثانى من القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجريين ، فيقول : " ثم لم يكن له (أى للذريق) بد من المقابلة (المقاتلة ؟) فالتقيا يوم الأحد، وصدق المسلمون القتال، وحملوا حملة رجل واحد على المشركين، فخذلهم الله وزلزل أقدامهم، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر، ولم يعرف لملكهم لذريق خبر، ولا بان له أثر، فقيل انه ترجل ، وأراد أن يستتر فى شاطئ الوادى، فصادف غديرا، فغرق فيه فمات، ولهذا وجد فيه فرد خفه، وهو مرصع بالدر والياقوت عليه الخمل، فانسل من رجله، وقوم فى المغنم بمائة ألف دينار. وانتهبت محلته، وانتشر عسكر المسلمين فى الجزيرة يمينا وشمالا . . . . "[1].

وهذا النص لا يتضمن تحديدا لتاريخ أو مكان.

أما نص محمد بن على بن الشباط المصرى التوزرى المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م فأكثر تفصيلا وتحديدا، فهو يقول فى الفصل الذى اداره على ما سماه "صفة قضية فتح الأندلس" .

" . . . ثم زحف طارق بجميع أصحابه حتى نزل قريبا من عسكر لذريق فتلاقوا يوم الأحد لانسلاخ شهر رمضان ، فاقتتل المسلمون والمشركون ثمانية أيام قتالا شديدا، وصبر الفريقان جميعا صبرا عظيما. ثم

---

[1] أحمد مختار العبادى تاريخ الأندلس لابن الكردبوس صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ١٣ ، مدريد ١٩٦٥ م ، ص ٤٨

انزل الله عز وجل نصره على المسلمين، فانهزم أبناء الملك[1] بأهل الميمنة وأهل الميسرة من عسكر لذريق ، فقتل العجم قتلا ذريعا، وقتل أبناء الملك، ولم يغن عنهما كيدهما (كذا) وأفلت لذريق إلى موضع يقال له السواقى، فقيل انه قتل وهو لا يعرف، ويقال أيضا أنه أراد الاستتار بسمار الوادى فغرق فيه وهلك. ووجد في ذلك المكان خف منظوم بالدر والياقوت قد سقط من رجله. وأصاب المسلمون من السبى مالا عهد لهم بمثله. وكان يعرف أشراف العجم فى القتلى بخواتيم الذهب توجد فى أصابعهم، ومن دونهم بخواتيم الفضة، والعبيد وأمثالهم بخواتيم الصفر. وكانت الوقيعة على المشركين يوم الاحد لسبع خلون من شوال، وليومين مضيا من تشرين الأول. وجمع طارق الغنائم، فأخذ منها الخمس، وقسم غيرها على تسعة آلاف سوى العبيد، ثم تقدم طارق حتى نزل بأهل مدينة شذونة "[2] .

وهذا نص عظيم يقول ابن الشباط نفسه أنه نقله عن "مختصر تاريخ الطبرى" ويذهب العبادى إلى أن المراد بذلك "ذيل تاريخ الطبرى" لعريب ابن سعد القرطبى المتوفى سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م لأننا لا نعرف مختصرا لتاريخ الطبرى، وإنما المعروف هو ذيله المعروف بصلة تاريخ الطبرى، ولم نجد من هذه الصلة إلا القطعة التى نشرها دى خويه إكمالا لتاريخ الطبرى سنة ١٨٩٧م وقد نشرت أيضًا ذيلاً على الطبعة المصرية القديمة لتاريخ الطبرى. ويبدو أن ذلك الذيل كان يتكون من قطعتين: الأولى استدرك عريب فيها على

[1] يريد أبناء غيطشة Witiza الذين خالفوا المسلمين على لذريق

[2] وصف الأندلس لمحمد بن الشباط المصرى التوزرى، قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط تحقيق أحمد مختار العبادى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد ١٤ (١٩٦٧م – ١٩٦٨م) ١٠٦ – ١٠٧

الطبرى ما فاته من تاريخ المغرب والأندلس، والثانية واصل فيها حوادث المشرق حتى سنة ٣٢٠هـ، وتلك هى التى نشرها دى خويه.

أما القطعة الأولى فلم نعثر عليها كاملة وإنما وجدت منها قطع اختلطت بالجزء الثانى من البيان المغرب لابن عذارى (وهو الخاص بالأندلس، وقد نبه على ذلك دوزى فى تحقيقه لهذا الجزء الذى نشره سنة ١٨٤٨م فى لايدن، ووجدت كذلك قطع اندرجت فى سباق مؤلفات أخرى مثل صلة السمط لابن الشباط وهو التعليق الذى أشرنا إليه على القصيدة الشقراطية.

ومعنى هذا أن نص ابن الشباط يعطينا قطعة من ذيل تاريخ الآندلس لعريب بن سعد، وهذا فى حد ذاته أمر عظيم القيمة، ونلاحظ منه ان عربيا اعتمد على تاريخ أحمد بن محمد الرازى فيما أكمل به تاريخ الطبرى، وذلك يزيد فى قيمتها فى نظرنا، فهى تعطينا فقرات من الصورة العربية لنص الرازى الذى لم نعثر عليه إلا فى ترجمتيه البرتغالية والأسبانية.

وقد درس العبادى هذا النص دراسة تعمق وتحليل وقارنه بغيره من النصوص، واستعرض آراء الباحثين قبله وخرج من دراسته بالقول بأن لذريق لم يلق العرب إلا فى معركة واحدة هى التى كانت جنوبى شذونة وقتل فيها لذريق، أى أنه لا يؤيد رأى سابدرا ومن تابعه.

وهو يؤيد رأيه بالقول بأن الرازى نفسه فى وصفه للاندلس يحصر منطقة الأرحاء، والسواقى المائية فى جبل مشرف على شذونة يسمى كما ورد فى الترجمات المختلفة للرازى بأسم Montebir أو Montebyr وقد ذهب جايانجوس إلى تحديد مكان الموضع المراد بذلك بين شريش وأركش.

وقد راجعنا نص الرازى الذى أشار إليه جايانجوس فى ترجمته البرتغالية فوجدناه لا يذكر السواقى أو النواعير عند شذونة ولكنه يشير إلى كثرة العيون ذات الماء الغزير هناك.

E ha hy hún môte a que chama Montebyr e este monte jaz sobre xodulha et spbre Terecune, e em este monte ha fontes que deytam muytas aguas e ha hy muy bôos logares e boos almargèes e delle nace hùn ryo a que chama Let [1].

وترجمتها : " وهناك جبل يسمى منتبير، وهذا الجبل يقوم فوق شذونة وفوق تركونه[٢] وفى هذا الجبل توجد عيون تعطى مياها كثيرة وتوجد هناك مواضع غاية فى الطيب وغابات جميلة ومنها ينبع نهر يسمى ليت" .

وقد استنتجنا من هذا النص أن الذين ترجموا نص الرازى الى البرتغالية قرأوا لفظ "السواقى" المختلف حوله فى صورة السوانى، لان السانية هى البئر أو عين الماء التى تقام عليها عجلة الساقية.

وبناء على ذلك النص تكون الواقعة الواحدة التى دارت بين لذريق والعرب قد وقعت فيما بين شذونة وتاكرنا لا بين شريش واركش كما يقول جايانجوس.

ويتضح من القراءة الدقيقة لنص الرازى فى ترجمتيه الاسبانية والبرتغالية أن العبادى على حق فى القول بأن عربيا بن سعد الذى ينسب اليه ابن الشباط هذه العبارة قد أعتمد على نص الرازى فيما أورد من الاخبار التى أكمل بها فوات تاريخ الطبرى.

---

(١) Crônica General de Espanba de 1344 . 11, 73.

(٢) الصورة الأخرى لهذا اللفظ فى المخطوطات قريبة من هذه وواحدة منه Terrecone ـــ يسمح لنا بالقول بأن المراد هنا تاكرنا

وأعتقد الآن بعد هذه الدراسات القيمة التى قام بها هـؤلاء الأساتذة الأجلاء لما ذهب إليه سابدرا عن المعركة الثانية بين لذريق والعرب عند تمامس أنه لم يعد هناك ما يدعو إلى التمسك بهذا القول، وان كنا كذلك لا نستطيع إنكاره كلية ما دامت هناك نصوص قديمة ترجع إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى تقول بأنه كان هناك بالفعل قبر للذريق فى كنسية فى مدينة بازو Viseu فى محافظة سلمنقة .

ومن الواضح أن العبادى على حق فى قوله أن المعركة الحاسمة بين قوات لذريق وقوات طارق لم تقتصر رحاها على جنوب شذونة أو شمالها، بل شملت جميع أنحاء هذه المنطقة، فهى معركة كورة شذونة بأسرها وليست معركة مدينة شذونة قاعدتها ، ومن هنا جاز لنا أن نقول بأن ما ورد فى كتب التاريخ من تسميات مختلفة لهذه المعركة مثل "البحيرة" ووادى بكة ووادى البرباط ووادى لكه وشريش والسواقى ما هى فى الواقع إلا تسميات لتلك الأماكن التى دارت وتشعبت عندها تلك المعركة الكبيرة فى أراضى كورة شذونة"[1] .

ونضيف هنا أن هناك من يرون أن لفظ Sagonera الذى يرد فى بعض المخطوطات على أنه تحريف لاسم الموضع الذى قتل فيه لذريق هو الاسم القديم لنهر وادى الطين Guandalentin وهو أحد روافد نهر شقورة وهو يجرى فى مقاطعة مرسية، وعلى هذا يكون لذريق قد فر من مكان المعركة واتجه نحو الشرق وتتبعه المسلمون حتى أدركوه، فأراد عبور نهر وادى الطين فغرق فيه قرب لورقه . وسنرى بعد قليل أن هذا الفرض محتمل.

---

(1) تاريخ الأندلس لابن الكردبوس، مقدمة البحث فى المرجع المشار إليه آنفا ، ص ٤٠ – ٤١

وصاحب الكتاب المجهول فى جغرافية الأندلس وتاريخه يؤيد القول بأن لذريق فر إلى الشرق وقتل عند نهر وادى الطين. وكان أول ما مال بى الى قبول هذا الفرض أننى وجدت صاحب مخطوط وصف الأندلس وتاريخه، وهو أحد الذخائر التى تكشفت عنها خزائن المغرب فى السنوات الأخيرة، وقد سبق أن تحدثت عنه فى كتاب "تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس" ثم فى بحث نشر فى هذه الصحيفة تحت عنوان : وصف جديد لقرطبة الإسلامية[1] وقلت اننا مع جهلنا باسم مؤلف هذا الكتاب وعصره إلا أننا نعتقد أن هذا المؤلف اعتمد فى القسم الجغرافى من كتابه على وصف الرازى للاندلس و "ترصيع الأخبار" لأحمد بن عمر بن أنس العذرى [2]، أما فى القسم التاريخى منه فعماده الأصلى على أحمد بن محمد الرازى وهو يشير إليه دائما بقوله : "قال صاحب التاريخ" ، وقد درست ما يقوله عن فتح الأندلس فوجدته مطابقا الى حد كبير لما لدينا من فقرات نص الرازى وترجمتيه البرتغالية والاسبانية، وسأتى بالقطعة الخاصة بالفتح منه ذيلا على هذا البحث، ولكننى اجتزئ هنا بالفقرة التى تتحدث عن موت لذريق، وهى : "وفر لذريق، فادركه المسلمون بوادى الطين، فقتل هو ومن كان معه. وقيل إنه غرق فى النهر لان المجاز كان وعرا، وفرت الروم وقد فقدوا لذريق، ووجد خفه فى النهر، وصار طارق الى قرطبة" .

---

[1] انظر حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، مدريد ١٩٦٧م ، ص ٥٩٦ وما بعدها و "وصف جديد لقرطبة الإسلامية" صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد (ص م د ا م) مجلد ١٣ (١٩٦٥ – ١٩٦٦م) ص ١٦١ وما يليها

[2] نشر قطعا منه معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد بعنوان "نصوص عن الأندلس" تحقيق د عبد العزيز الأهوانى، مدريد

وهذا النص واضح فى القول بأن لذريق فر من معركة شذونة وأن المسلمين أدركوه عند وادى الطين، فلما أراد العبور لم يستطع وغرق فى الماء ووجد المسلمون خفه فى الماء.

ولا ذكر هنا للسواقى أو السواتى، أى لا محل لذكر Saguyue التى طالما حيرت الباحثين، ولكن إحدى صور ذلك اللفظ فى مخطوطات الترجمة البرتغالية تؤيد القول بأن موت الرجل كان عند وادى الطين، فهى ترسمه Sagonera أو Sagoneria وهو أسم هذا النهير قبل أن يسميه العرب وادى الطين.

ويؤيد هذا الرأى نص فريد فى بابه وجدته عند مطالعتى لكتاب تاريخ إفريقية والمغرب المنسوب إلى إبراهيم الرقيق الذى نشره السيد المنجى الكعبى فى تونس سنة ١٩٦٨م، وقال أنه قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب لأبى إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيروانى، الأديب الكاتب الشاعر الذى تولى ديوان الإنشاء لنصير الدولة باديس بن أبى الفتح المنصور (٣٨٦ هـ - ٤٠٦ هـ/ ٩٩٦م - ١٠١٥م) ثالث الأمراء من بيت بنى زيرى الصنهاجيين فى إفريقية ثم لأبنه المعز بن باديس (٤٠٦هـ - هـ/١٠١٥م-١٠٦٢م) إذ أنه توفى بعيد سنة ٤١٧هـ/١٠٢٦م بعد عمر طويل حافل بالعمل والتأليف والمتع والرحلات.

وقد كنا من زمن طويل ننتظر العثور على كتاب الرقيق هذا فى تاريخ بلدة إفريقية، وقد تمنيت هذه الأمنية من أكثر من ربع قرن عندما كنت أعد بحثى عن "فتح العرب للمغرب" (نشر سنة ١٩٤٧م) ، فقد قلت فى الفصل الأخير من ذلك الكتاب وهو الخاص بالمراجع أن تاريخ الرقيق مرجع هام اعتمد عليه كل من ابن الأثير وابن عذارى والنويرى وغيرهم ممن كتب بعد

القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقلت اننا لو عثرنا عليه لحصلنا على أصل لا تقدر قيمته عن تاريخ الغرب الإسلامى كله ، وقلت فى كلامى عن الطبعة الخاصة بتاريخ المغرب من نهاية الأرب للنويرى (ص ٣١٠ من فتح العرب للمغرب) أنه كان هناك فى مغازى إفريقية للواقدى يرد ذكره عند البلاذرى وأبى عبيد البكرى ثم أختفى بعد ذلك فلم يعد أحد من مؤرخى القرن السادس وما بعده يذكره إلا نادرا.

وقلت كذلك أن الواقدى يعتمد فى الكثير مما يورد من اخبار فتح افريقية على رجل يسمى المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى "اشترك فى فتح المغرب وروى أخبار ما رأى وأخذ عنه الواقدى ، وقد أكد لى حسن حسنى عبد الوهاب أن مغازى الواقدى هذا كان من المراجع الأساسية التى أعتمد عليها إبراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق وأبو بكر المالكى من أهل المغرب الذين كتبوا فى تاريخ بلادهم، وقد حلت مؤلفات هؤلاء محل مغازى الواقدى الخاص بالمغرب، ولهذا خمل أمره واختفى. ومن القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى نجد أن هذه الأصول المغربية الى جانب فتوح عبد الرحمن بن عبد الحكم قد أصبحت هى الأصول الرئيسية التى يأخذ عنها الناس تاريخ المغرب والأندلس" .

والقطعة التى بين أيدينا من التاريخ المنسوب إلى الرقيق تؤيد هذا القول، فهى تنقل عن الواقدى وعن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم المعافرى وعن يوسف بن هشام وعمر بن سهل، فأما أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (٩٥هـ - ١٦١هـ/ ٧١٤م - ٧٧٧م) فلا شك فى أنه كان من أعلام اهل افريقية ومن كبار رجال الفقه فيها فى عصر الولاه، وأما يوسف بن هشام فهو نفسه يقول أن جده كان من خاصة موسى وأصحابه، وكذلك كان

عمر بن سهل من موالى موسى، وموالى موسى كانوا مغاربة وأندلسيين ولهم شأن عظيم فى تاريخ المغرب حتى نهاية العصر الأغلبى. فنحن هنا أمام رواة من أهل المغرب ممن أخذوا الأخبار التى يروونها بالتواتر أو كتبوا بعض ما وصل إليهم ، ثم تجمع ذلك كله فى المؤلفات الأولى التى كتبها أهل المغرب عن تاريخ بلادهم وعلى رأسهم أبو العرب تميم وأبو بكر المالكى وإبراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق.

ولكن قطعتنا هذه تذكر أخبارا كثيرة مقدمة لها بعبارة "قال" فحسب، وهذا هو ماتجده فى بداية القطعة الخاصة بفتح الأندلس، والأخبار التى يرويها بعد ذلك لا تشبه فى شئ ما لدينا من الأخبار التقليدية عن فتح الأندلس، فمن هو صاحبها؟ إنها تختلف عن أخبار ابن عبد الحكم وابن القوطية و "الاخبار المجموعة" و "فتح الأندلس" وغيرها مما نعتبره أقدم ما لدينا واولاه بالثقة فى رواية أخبار فتوح المغرب والأندلس، ولكن عليها رغم ذلك طابع الاصالة وخاصة فيما يتصل بعلاقات أهل طنجة بقوات طارق بن زياد التى عسكرت فيها، وما كان لذلك من أثر فى فتح الأندلس. والقطعة تعطى صورة جديدة للبليان (تسمية أليان) وحقيقة علاقته بلذريق من ناحية وبالعرب من ناحية أخرى.

ونحن لا نستطيع القول بأن هذه هى رواية الواقدى التى ضاعت مخلفة فقرات واقتباسات فى الكتب التى ألفت بعد ذلك. وجدير بالذكر أن ابن عذارى عندما ذكر مراجعة فى مقدمته لم يذكر الواقدى من بينها مع أنه يروى له اخبارا فى صلب تاريخه. وواضح أنه أخذ عبارات الواقدى تلك عن مراجع

ألفت بعد ذلك وأعتمدت عليه، وأهمها فيما يخصنا هنا: مختصر عريب بن سعد القرطبى[1] وتاريخ إفريقية والمغرب لإبراهيم الرقيق[2] وكتاب العبر لأبى بكر أحمد بن سعيد بن أبى الفياض الاسبخى (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٦م) [3]وكتاب الذيل لمحمد بن شرف القيروانى[4] وتاريخ الأندلس لأحمد بن محمد الرازى[5] والمقتبس فى تاريخ الأندلس لأبى مروان بن حيان[6] وتاريخ افريقية لمحمد ابن يوسف الوراق الكاتب. وهذه فى رأينا هى الكتب التى تتساوى فى الأصالة والأهمية، وأصحابها باستثناء أحمد بن محمد الرازى أبناء عصر واحد تقريبا والمغاربة منهم (إبراهيم الرقيق ومحمد بن يوسف الوراق ومحمد ابن شرف القيروانى يتعادلون فى القيمة والمستوى، ويحتمل جدا ان تكون

---

(1) عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٧٠هـ/٩٨١م) أنظر عنه تاريخ الفكر الأندلسي ترجمتنا (الفهرس) وبونس بونجس ص ٨٨ – ٨٩ والمقدمة التي كتبها دوزي لكتاب البيان المغرب لابن عذارى وجعلها دراسة لمؤرخي المغرب والأندلس وهي مشهورة بأسم **Introduction du Bayan** ، وانظر كذلك نفح الطيب للمقرى ٢٧٥/٢ و ١٣٤/٣ و ١٨٢ من طبعة محيي الدين عبد الحميد وقد سبق ان تحدثنا عن مختصر عريب لتاريخ الطبرى

(2) أنظر عن أبي إسحاق إبراهيم الرقيق المقدمة الشاملة التي ساقها المنجي الكعبي بين يدى تحقيقه للقطعه التي نسبها إليه ، وهي موضوع حديثنا هنا وأنظر كذلك مقدمة كتاب "قطب السرور في وصف الخمور" من تأليفه، وقد كتب هذه المقدمة محقق الكتاب

(3) عن ابن أبي الفياض أنظر كتابنا "الجغرافية والجغرافيون في الأندلس" ص ١٠٦ – ١٠٧

(4) المرجح في رأى د. محمود مكي أن المراد هنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن شرف المتوفى سنه ٥٣٤هـ/١١٣٩م وهو ابن الأديب الأندلسي أبي عبد الله محمد بن شرف الذى ترجم له ابن بسام في الذخيرة (قسم ٤ – ١٣٣/١ – ١٨٦) وعن أبي الفضل جعفر المراد هنا أنظر المغرب لابن سعيد بتحقيق شوقى ضيف ٢٣٠/٢ والمراجع المعطاة هناك

(5) عن أحمد بن محمد الرازى، أنظر كتابنا "الجغرافية والجغرافيون" ص ٥٦ وما بعدها

(6) عن ابن حيان أنظر المقدمة الوافية التي ساقها د محمود مكي بين يدى تحقيقه لقطعه من المقتبس تشمل جزء من عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط وعصر الأمير محمد، القاهرة ١٩٧١م ، وانظر كذلك تاريخ الفكر الأندلسي ، الفهرس

القطعة التى نشرها الأستاذ المنجى الكعبى من تأليف أى واحد من هؤلاء. وقد اداه اجتهاده إلى القطع بنسبتها إلى إبراهيم الرقيق، ونحن لا نملك دليلا بينا يمكننا من تأكيد هذا القول أو نفيه. فلنترك هذه النسبة لصاحبها على مسئوليته إلى أن تصل إلى أيدينا براهين أنصع مما بأيدينا اليوم.

أقول هذا وأنا أعلم أن الأستاذ الدكتور محمد الطالبى كتب بحثا ممتعا فى "كراسات تونس" التى تصدرها كلية الآداب فى الجامعة التونسية أنكر فيها صحة نسبة هذه القطعة إلى إبراهيم الرقيق، وبذل جهدا مشكورا فى مقارنة نص نسبة هذه القطعة بنص ابن عذارى فيما يتعلق بحوادث الفتح، ولاحظ أن اسلوب القطعة ركيك فى بعض الأحيان وغير واضح فى أحيان أخرى، وهو لهذا يستبعد أن يكون هذا هو أسلوب إبراهيم الرقيق الكاتب الأديب الشاعر.

ثم أن الطالبى عثر فى تلك القطعة على بعض التفاصيل الخاصة بحياة القاضى أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم (١٢٨هـ - ١٩٦هـ/ ٧٤٥م- ٨١١م) موجودة فى كتاب رياض النفوس للمالكى المتوفى بعد سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م و "مدارك" القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م واستبعد أن يكون هذان قد نقلا عن إبراهيم الرقيق، وقال ان العكس هو الممكن، أى أن يكون صاحب القطعة التى نشرها المنجى الكعبى قد نقل عن هذين الفقيهين المؤرخين. ولا ندرى لماذا يستبعد الطالبى أن يكون المالكى قد أخذ عن الرقيق دون أن يشير إلى ذلك ، أو لماذا لا يكون الإثنان قد اخذا عن أصل واحد؟ .

وبهذه المناسبة هل لى أن ألاحظ أن د. الطالبى كان قاسيا القسوة كلها فى نقده لعمل السيد المنجى الكعبى فقد اتهمه بالجهل والتسرع وقلة الضبط. ثم زاد فرماه بأنه نسب هذه القطعة إلى الرقيق التماسا لرواج الكتاب بنسبته

إلى الرقيق، وأعتقد أن الطالبى لو راجع نفسه لوجد أنه جاوز الحد فى العنف، فما عسى أن يكون إنسان من نشر قطعة من كتاب إبراهيم الرقيق حتى يدفعه ذلك إلى التدليس ؟ وماعسى أن يبيع من نسخ هذا الكتاب ؟ ولهذا فاننا نرجوه شيئا من الرفق فى نقد أهل البحث فهو أدرى من غيره بقلة جزاء العاملين على العلم فى بلدنا وليس من الإنصاف أن نقسوا عليهم ونحن زملاؤهم وشركاؤهم فى قلة الجزاء.

قيمة هذا النص المنسوب إلى الرقيق بالنسبة لتاريخ الأندلس

وقد حكم محمد الطالبى على هذه القطعة المنسوبة إلى الرقيق بأنها لا قيمة لها ولا تعطينا جديدا يتناسب مع ما كنا ننتظره من إبراهيم الرقيق وقال:

En resumè, l'ouvrage de N. (= attribuè a Ibraim al-Ra-kik) me presente aucun de ces avantagis substantiels que l'on se plait gènèralment à attribuer à l'historie d'ibn al-Raqiq. Sa valcur informative, tout compte fait, avec son apport certes, mais aussi avec ses omissions, ses confusions et ses incohèrences, ne tranche pas, pour le moins que l'on puisse dire, sur nos texès classiques . (1)

---

(١) Mohamed Talbi, Un nouveau fragment de l'bistoire de l'Occident Musulman.
L'Epoque d' A;-Kabina , Extrait des cabiers de Tunisie, tome XIX, 197 1. Nu. 73-74, p . 51

ولكن هذه القطعة تقدم لنا لحسن الحظ مادة طيبة وعظيمة القيمة في أكثر من موضع رغم إنكار د. الطالبي نسبتها إلى الرقيق، وإذا كانت قيمة مادتها فيما يتصل بأحدث فتح العرب للمغرب قد بدت له مألوفة ومعروفة فالسبب في ذلك فيما نرى أننا درسنا هذا الفتح دراسة شاملة في كتابنا عنه بحيث لم نترك فيه غامضا، ووقع في ظن الناس أن كل تفاصيل هذا الفتح معروفة كل المعرفة وخاصة بعد أن أضفنا إلى ذلك ترجمتنا للدراسة القيمة التي قدم بها ليفي بروفنسال لنص عبيد الله بن صالح عن فتح المغرب. وتحقيق هذا النص منسوب إلى ليفي بروفنسال، ولكنه ترجمة فحسب إلى الفرنسية أما تحقيق النص ونشره فقد قمنا به نحن وعلقنا عليه في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد.

ولكن الأمر جد مختلف فيما يتصل بفتح الأندلس، فلا زال الغموض يكتنف الكثير من التفاصيل رغم كثرة الأبحاث التي دارت حول هذا الموضوع.

هنا تقدم لنا القطعة التي نشرها السيد المنجي الكعبي شيئا جديدا فعلا، فإن رواية النص الجديد لأخبار فتح الأندلس تختلف كل الأختلاف عن كل ما لدينا في أكثر من موضع. وهذا الاختلاف يدعونا إلى أن نعيد النظر في الكثير مما لدينا من المعلومات عن فتح ذلك القطر الكبير. ولو أننا عرفنا مؤلف الكتاب ورواته معرفة صحيحة لزاد ذلك في قيمة المعلومات التي يقدمها.

ولا بد أن نقرر أننا إذا كنا لا زلنا نتردد في قبول نسبة القطعة إلى ابراهيم الرقيق فأننا نقرر في نفس الوقت أنها قطعة من كتاب أصيل ذي قيمة تاريخية كبيرة، وحتى إذا تبين أنها لمؤلف من عصر متأخر - مثل عصر ابن عذاري مثلا - (كما يقول د. الطالبي) فإن ذلك لا يشينها، وها هو تاريخ ابن عذاري نفسه يعتبر رغم تأخر زمانه من أمهات مصادرنا وأولاها بالثقة.

وسأورد فيما يلى ما ورد فى هذه القطعة عن فتح الأندلس ليطلع عليه اهل العناية بذلك الشأن، ثم أعلق عليه بما يوضح ما ورد فيه من معلومات وما يمتاز به من جديد.

ولا بد أن أنبه إلى أن تحقيق السيد المنجى الكعبى فى هذا الجزء بالذات من النص الذى تفضل بنشره يحتاج إلى تصويب ومراجعة واعادة نظر، ومن الواضح أن خبرته بعمل التحقيق قليلة ومعلوماته عن الأندلس أقل، ومن ثم فقد لا حظت فى النص المنشور ما يقتضى التصويب والتعديل، فقمت بذلك منبها إلى ذلك فى كل حالة. وأرجو أن يحمل السيد المنجى الكعبى ما أبديه من الملاحظات على أحسن المحامل، فأنا مقدر جهده معترف بفضله وعارف بصعوبة الإقبال على مثل هذا العمل، والتجربة بعد قليلة وميدان التجويد وإتقان الصنعة بعد ذلك أمامه طويل.

ooooo

ولايـــة موســـى بن نصيـــر[1]

وكتب الوليد بن عبد الملك - رحمه الله - إلى عبد العزيز بن مـــروان [2] يأمره بأن يوجه إلى إفريقية موسى بن نصير من قبل الوليد وقطـــع إفريقيـــة عن عبد العزيز[3] .

فقدمها موسى فوجد أكثر مدنها خالية باختلاف أيدى الـــبربر عليـــها، فكان ينقل العجم من الأقاصى إلى .[4]. . .

---

(1) ص ٦٨ من المطبوع ولم يحدد الناشر دائما ما يقابل صفحات المخطوط كما جرت العادة

(2) علق المحقق على هذا الاسم بقوله : كذا فى الأصل وهو خطأ ، وإنما هو عبد الله بن مروان كمـــا جـــاء فى البيان ١/ ٤١ الفقرة الأخيرة

والملاحظة كلها خاطئة وابن عذارى نفسه أخطأ هنا، لأن عبد الله بن عبد الملك بن مروان الذى خلـــف عبد العزيز بن مروان فى ولاية مصر فى جمادى الأولى سنة ٨٦ كان أخا الوليد بن عبد الملـــك وكـــان موسى بن نصير فى ذلك التاريخ واليا على إفريقية والمغرب بالفعل منذ عام ٨٥هـــ/ ٧٠٤م، فلـــم يكـــن هناك ما يدعو إلى تعيينه من جديد

(3) توفى عبد العزيز بن مروان قبل وفاة عبد الملك بن مروان، فلم يكن واليا على مصر عندما تولى الخلافـــة الوليد بن عبد الملك. الخطأ هنا من ابن عذارى

(4) العبارة موجودة أيضا عند ابن خلدون (٦/ ٢٢٠) قال "وقدم موسى بن نصير القـــيروان واليـــا علـــى إفريقية" ورأى ما فيها من الخلاف، وكان ينقل العجم من الأقاصى إلى الأدانى، وأثخـــن فى الـــبربر ودوخ المغرب، وأدى إليه البربر الطاعة . . ." وقد فسرنا هذه العبارة فى مقالنـــا "التنظيـــم الادارى والمـــالى لإفريقية والمغرب فى عصر الولاة" صحيفة كلية الآداب بجامعة الكويت ، عدد ٣ ١٩٧٣ م ص ٨٨ بقولنـــا بدأ موسى بإخراج الروم من المدن والنواحى الداخلية، وإسكانهم فيما قرب من مراكز الحكم

أما عبارة " فوجد أكثر مدنها خالية (باختلاف أيدى البربر عليها) الواردة هنا فموجودة أيضا عـــند ابـــن عذارى (١/ ٤١) قال وكانت أكثر مدن إفريقية خالية باختلاف البرابر عليها" وقد فســـرناها فى نفـــس البحث ص ٨٧ عمود ٢ بقولى وأظن أن المراد أن معظم البلاد دخلت فى العمال لأن الـــبربر الذيـــن أسلموا تقاسموا البلاد فيما بينهم وتنازعوا فى ذلك ، ووقعت الحرب فيما بينهم واختلف أيديهم عليـــها ولم للعرب عليها للعرب عليها سلطان أى أن صحة قراءة العبارة (وخلت أكثر الـــــــــــــــبلاد =

قال : أن كنيسة كانت بشقبنارية [1]كان فيها عجب ... منها مرآة فى سلطان الروم، فإذا اتهم الرجل أمرأته [نظر إلى] [2] المرآة فرأى المبتلى بالمرأة.

وكانت البربر قد تنصرت. فكان رجل بربرى قد أظهر اجتهادا فى النصرانية حتى صار شماسا. وأتهم رجل أمرأته، فنظر فى المرآة فإذا هو بوجه الرجل البربرى الشماس. فدعا به الملك فقطع أنفه وطرده من الكنيسة، فلما رأى ذلك قومه طرقوا المرآة فكسروها، وأرسل الملك إلى حيهم فأستباحه... وخرج موسى من إفريقية غازيا إلى طنجة، فوجد البربر قد هربوا من المغرب حوفا من العرب، فتبعهم ، وقتلهم قتلا فاحشا، وسبى منهم سبيا كثيرا، حتى بلغ السوس الأدنى لا يدافعه أحد. فلما رأى البربر ما حل بهم استأمنوا وأدوا الطاعة، فقبل منهم وولى عليهم واليا.

ثم استعمل موسى بن نصير على طنجة طارق بن زياد مولاه، وتركه بها فى سبعة وعشرين رجلا من العرب وأثنى عشر ألف فارس، وهى العدة التى جعلها عليهم حسان بن النعمان[3] . وكانوا قد دخلوا الاسلام وحسن

= [من العرب والعمال] فاضطر موسى إلى إعلان الحرب عليهم فأمعن فى البربر وذوح المغرب، وأدى إليه البربر الطاعة كما يقول ابن خلدون (٦/ ٢٢٠)

(1) علق السيد المحجى الكعبى على هذا اللفظ بقوله شمارية (بالميم) مدينة بيزنطية معناها "الكف الخالدة" وصحة اللفظ شقيمارية وقد أتيا برسمها عند البيزنطيين Sicca Vaneria وعرفنا بها فى "فتح العرب للمغرب" ص ٢٢٥

(2) ترك الناشر موضع الكلمتين بياضا فأثبتنا هذين اللفظين بين حواص فاستقام السياق واعتقد أن الاسر احتلط عليه لأنه رسم اللفظ الذى بعد المراع "المراة" ولو قرأة "المرآة" لاستقام له السياق

(3) العبارة واردة عند ابن عذارى (١/ ٤٢) بخلاف "... واستعمل موسى طارقا على طنجة وما والاها فى سبعة عشر ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر، وأمر العرب أن يعلموا البرابر القرآن وان يفقهوهم فى الدين ، ثم مضى موسى قافلا إلى إفريقية" =

إسلامهم فتركهم موسى وانصرف بعسكره من العرب خاصة، وأمر العرب السبعة والعشرين الذين ترك عند طارق بن زياد أن يعلموا البرابر القرآن ويفقهوهم فى الدين.

ثم مضى إلى إفريقية فمر بقلعة مجانة[1] ، وانحصر صاحبها منه، فرأى موسى بن نصير ٠٠٠٠٠[2] لم يعرض له، فلما نزل القيروان دعا بشر ابن ارطاة فعقد [له] على أعنة الخيل، وأمره أن يمضى إلى صاحب قلعة مجانة، فلما أناخ عليهم عظم عليهم أمر القتال . ونظر الروم من العرب صبرا لم ير مثله قط، فملأهم ذلك رعبا، فألقوا بأيديهم، فدخلها، فقتل المقاتلة وسبى الذرية، وغنم منها أموالا كثيرة، فكانت تسمى بأسمه قلعة بشر، لا تعرف إلا به لأنه هو الذى افتتحها ، فأصاب عددا من ولائد ووصفاء وذهبا وفضة، فخمس ذلك، وبعث بالخمس إلى موسى بن نصير وبعث موسى الخمس إلى الوليد، فكانت قيمة ذلك الخمس عشرين ألف دينار.

= ويعود ابن عذارى فيصحح العبارة فى نهاية نفس الصفحة . "وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام "

وابن خلدون يجعل عدة العرب ٢٧ ألفا (٦/ ٢٢٠) فما هى عدة العرب الذين تركهم موسى بطنجة ٢٧ أو ١٧ ألفا أو ٢٧ ألفا ؟

فإذا كان قد ترك ١٧ ألفا أو ٢٧ ألفا فهى حامية وإذا كان قد ترك ٢٧ رجلا فهم معلمون للقرآن والإسلام.

وقد علق المنحى الكعبى على هذه العبارة بقوله : فى البيان ، الموضع السابق ص ٤ قبل الأخير: عقد بن نافع وهو خطأ

وأظن أن ابن عذارى لم يخطئ ، وأرجو السيد المنحى أن يعيد قراءة العبارة ليرى أنها صواب

(1) ذكر البكرى مجانة وقال أنها على الطريق من فاس إلى القيروان وهى المحلة السابقة على باغاية وقد أضاف البكرى أيضا خبر فتح بسر بن أبى ارطاة لها ، ص ١٤٥ والأصح فى أسم الرجل بسر لا بشر

(2) وضعنا مكان البياضات نقطا بعدد الكلمات بحسب ما ذكر السيد المنحى الكعبى. وكل ثلاث نقط تعدل كلمة

فتح الأندلـــــــس[*]

١ – طارق والعامية البربرية في طنجة

قال : وتحامل أصحاب طارق بن زياد، عامل موسى بن نصير بطنجــة، على أهل البلد ، وأساءوا إليهم وجاروا عليهم ، فكتبوا إلـــى أهــل الأندلــس يعرفونهم بما يلقونه من جهة البربر وسوء سيرتهم .

٢ – أليـــان

فكان طارق يوما بطنجة إذ طلعت مراكب، فأكمن لها المســـلمين فلمـــا أرست خرجوا إليها، وأنزلوا أهلها، فقال أهلها : إنا إليكم جئنا عامدين، فـــإذا هم يعظمون غلاماً حدثا منهم يقال له أليان ، فقال له طارق : ما جـــاء بـــك ؟ فقال : أنا ابن ملك الأندلس [١]، وليس بينك وبينها إلا هذا [الزقاق وأشـــار] [٢] إلى جبالها يريه إياها. قال طارق : ما جاء بك ؟ قال له : إن أبي مـــات .

---

[*] من هنا فصاعداً قسمت النص إلى فقرات أعطيتها أرقاماً وجعلت بعضها عناوين ليسهل التعليق عليها

[١] علق السيد المنجي الكعبي على ذلك بقوله (ص ٧٠ هامش ١) وهذا يخالف ما اجتمعت عليه المراجع من أن يليان هو ملك الأندلس
والذي نعرفه أن واحداً من المراجع لم يقل إن يليان ملك الأندلس، فمن أين يأتي بذلك؟ وقـــد ورد نفس الخبر بتفصيل أقل عند ابن عذارى ٦/٢ رواية عن عيسى بن محمد من ولد أبي المهاجر " في كتابه"

[٢] ذكر المنجي الكعبي ان خرماً يقدر بثلاث كلمات فأكملته بين حواصر للسياق وقد أخذت لفظ الزقـــاق من كلام علي بن سعيد عند المقري نفح (تحقيق إحسان عباس) ١٤٥/١

ووثب على مملكتنا بطريق يقال لذريق، وبلغنى أمركم ، وجئت إليكم أدعوكم إليها، وأكون دليلكم عليها [1].

٣ - عبور طارق

ومع طارق إثنى عشر ألفاً من البربر. فعزم طارق على غزو الاندلس، واستنفر البربر. فجعل أليان يحمل البربر فى مراكب التجار التى تختلف إلى الأندلس، ولا يشعر بهم أهل الأندلس، ولا يظنون إلا أنها تختلف بمثل ما كانت تختلف به من معايشهم ومتاجرهم، فجعل ينقلهم فوجاً إلى الأندلس. وقد تقدم أليان إلى أصحاب المراكب ألا يعلموا بهم، وقال لقومه: أنى توثقت لكم. فأعلموا أنها دولة العرب، وهم يملكون الأندلس، ودعاهم إلى أن يأخذوا نصيبهم منها، فأعجبهم ذلك ورغبوا فيه، وكتب لهم طارق بالأمان على أنفسهم وذرايتهم وأموالهم. فلما لم يبق لهم إلا فوج واحد[2] ركب طارق ومن بقى معه، فجاز إلى أصحابه، فنزل بهم جبلا من جبال الأندلس حريزا منيعا، فسمى ذلك الجبل من يومئذ جبل طارق، فلا يعلم إلا به[3] .

٤ - اللقاء بين لذريق والمسلمين

وموسى بن نصير بإفريقية لا يعلم شيئاً من هذا ، فلما بلغ ملوك الأندلس خبره نفروا إلى الملك الأعظم ، وهو لذريق ، وكان طاغيا فى جموع عظيمة على دين النصرانية، وزحف إلى طارق فى عدة عظيمة.

---

(١) بمراجعة هذه الفقرة مع ما ورد عند ابن عذارى ٦/٢ نستطيع القول أنها مقتبسة أو منقوله من كتاب عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر

(٢) المطبوع لوح وصحته فوج للسياق ، وراجع ابن عذارى ٦/٢

(٣) هذه القطعة مقتبسة من الواقدى برواية أحمد بن محمد الرازى انظر ابن عذارى ٦/٢ (الفقرة الأولى)

[فدعا] [١] بسرير مكلل بـــالدرر واليـــاقوت، فشـــد الســـرير علـــى [بغلين][٢] ، وحفت به الرجال، وقعد لذريق على سريره، وعلى راســـه تـــاج، وعليه قفازان مكللان بالدر والياقوت وجميع الحلية التى يلبسها الملوك قبلـــه، فلما انتهى إلى الجبل الذى فيه طارق، خرج إليه طارق وجميع أصحابه رجاله ليس فيهم راكب، فشمروا للموت، فقال لرجاله : ليس هم أحق بالموت منكـــم، قد دخلوا عليكم بلادكم ! . ونادى بالنزول .

فنزل العسكر ... فمشى بعضهم إلى بعض بالسلاح ، فأقتتلوا قتـــالا شديداً ، فوقع الصبر حتى ظن الناس أنه الفناء، وتواذوا بالأيدى، وضـــرب الله عز وجل وجوه أعدائه، فأنهزموا . وأدرك لذريق فقتل بوادى التين.

وركب [المسلمون] [٣]آثارهم ، وكان الجبل وعـــرأ ، فكـــان الـــبربر أسرع منهم على إقدامهم. فسبقوهم إلى خيلهم، فركبوا[٤] خيولـــهم الـــبربر ، ووضعوا فيهم السيف وأدباوهم ، ولم يرفعـــوا عنـــهم الســـيف ثلاثـــة أيـــام ولياليها[٥] .

---

(١) المطبوع (ص ٧٤) "وعا بسرير" وفوق وعا رقم تعليق ، والتعليق يقول موضع كلمة مأروصـــه فـــاذا كانت مأروصة فمن أين أتى المحقق بـ (وعا) ؟ والصحيح الذى يستقيم به السياق – دون قطع ما بدلـــك – ودعا أو فدعا

(٢) المؤلف يروى هنا عن نص المصدر الذى أخذ عنه ابن عذارى فى هذا الموضع، وهو كتاب عيســـى بن محمد من ولد أبى المهاجر ، وعنده فى هذا الموضع على بغلين يحملانه (ابن عذارى، ٢/٧) .

(٣) أضفنا هذه الكلمة للسياق . والجملة فى الأصل بدون فاعلها

(٤) كذا فى الأصل وهو خطأ أتى فى الغالب من الأستيلاء وأخطأ كهذه فى النص حمرت د . طـــالبى علـــى القول بأن الأسلوب ركيك وأن الكاتب لا يعرف العربية معرفة جيدة ، ومن ثم فليس هو إبراهيم الرقيـــق وواقع الحال أن أخطاء كهذه تقع من الناسخين والمملين والمستملين

(٥) المؤلف هنا يتابع كلام عيسى بن محمد من ولد أبى المهاجر قارن هذا بما عند ابن عذارى ٢ – ٧

٤ – فتح قرطبة

فمكثت جيفهم دهراً . وبقيت عظامهم إلى حديث من الزمان ، وأمر طارق فرسان المسلمين أن يسبقوهم إلى قرطبة، فأتوها وقد وقف المسلمون حولها فقتلوهم ، فكانت قرطبة مدينة لذريق[١] ....

ودخل طارق قرطبة فأصاب فيها من الدر والياقوت والذهب والفضة ما لم يجتمع مثله قط، وأصاب من الحرير ... والنساء والذرارى ما لا يحصى ولا يعد. فكانت جملة السبى عشرة آلاف رأس[٢] ، وذلك سنة أثنين وتسعين[٣].

٥ – عبور موسى

وبلغ موسى بن نصير أن طارق بن زياد فتح الأندلس ودخلها، فخاف أن يحظى بذلك عند الخليفة، فغضب غضباً شديداً، وكتب إليه يعنفه إذ دخلها بغير أمره، وأمره ألا يجاوز قرطبة، وأمر موسى الناس بالرحيل، ورحل معه وجوه العرب. وكان مخرجه في رجب سنة ثلاث وتسعين ، واستخلف على القيروان ولده عبد الله وكان أسن ولده.

---

[١] الرواية هنا فيها شبه كبير من رواية الواقدى (انظر ابن عذارى ، ٢ – ٧) وقد أحدهـا السرارى وزاد عليها كثيراً أنظر رواية الرازى كاملة عند المقرى (نفح ١، ٢٥٩ وما بعدها) والجملة هنا على اى حال ناقصة وربما كان تمامها: فكانت قرطبة مدينة لذريق قبل دخول المسلمين

[٢] هامش الأصل : حسبى ألفاً

[٣] ينفرد النص بهذا القول فى فتح قرطبة على يد طارق . والأغلبية على أن الذى فتحها مغيث الرومى وأرسله إليها طارق وهو فى طريقه إلى طليطلة أنظر فجر الأندلس ، ص ٨٠ وما بعدها وقد ذكرنا الأمر هناك بتفصيل وأتينا بكل المراجع

وسار حتى إذا كان بطنجة عبر البحر منها إلى الخضراء ، وهى على مجاز الأندلس . فكره طارق أن يخرج إليه من المدينة لكثرة العدو، فوجه إليه بالخف والحافر والهدايا والجوارى وغير ذلك[١] .

٦ - موسى ورجاله يغيرون على سقيوما فى المغرب الأقصى

ولما كان موسى بن نصير بطنجة قبل جوازه مال عياض بن عقبة إلى قلعة يقال لها سقيوما، وكان فيها بقية قتلة عقبة، ومال معه سليمان بن أبى الهاجر وسألا أن يميل معهما، فكرة ذلك وقال : هؤلاء قوم فى الطاعة ، فأغلظا له الكلام حتى يرجع، فقاتل أهل سقيوما قتالاً شديداً حتى أخذوا لواء من ألوية العرب، فكانوا يقاتلونهم به حتى تسور عليهم عياض بن عقبة من خلفهم فى قلعتهم، فأنهزم البربر واشتد القتل عليهم ... التى دخل عليهم منها عياض، فمات القوم وبادرهم ... إلى اليوم[٢] . وذكر ابن أبى حبيب ان موسى لما فتح سقيوما كتب إلى الوليد بن عبد الملك : أنه صار لك من سبى سقيوما مائة ألف رأس، فكتب إليه الوليد: ويحك إنى أظنها من بعض كذباتك، فإن كنت صادقاً فهذا محشر الأمة [٣].

---

[١] وهذا شئ جديد لا وجود له إلا هنا

[٢] العبارة من " وبادرهم ... إلى اليوم " غير سليمة، وأظن أن صحتها، بناء على نص أبى عبيد البكرى ص ١١٧ : "فبادروا وقلت أورية إلى اليوم "

[٣] روى ابن عذارى هذا الخبر مختصراً (٤١/١) وهو يسمى الموضع سجومة، وعند البكرى (ص ١١٧) سقوما، وهاتان القراءتان أصح مما فى النص المنسوب إلى الرقيق والخبر كله منقول عن الإمامة والسياسة لابن قتيبة (صفحة ٧٦) وقد روى الخبر أيضاً عبيد الله بن صالح (نص جديد، صفحة ٢٢٤) وهذه الحملة كانت ظاهرها انتقامية ولهذا لم يشأ موسى أن يشترك فيها من أول الأمر ، وكان هدفها الانتقام من قتلة عقبة بن نافع الذين أوقعوا به عند تهودة، ولهذا فقد قام بها أولاد عقبة وأولاد ابن أبى المهاجر =

٧ – لقاء موسى وطارق فى قرطبة

فلما وصل موسى إلى قرطبة استجار طارق بابنه عبد العزيز، فشفع له عند أبيه، ودخل موسى قرطبة، فأتاه طارق بن زياد فترضاه وقال : انما هـــذا الفتح لك وإنما أنا مولاك. فقبل منه وعفا عنه . فتكاملت بقرطبة الجيوش مـــن العرب والبربر ، فصاروا فى خلق عظيم، فلما رأى موسى بن نصير ذلك دعــا بطارق بن زياد فوجه على أعنه الخيل إلى طليطلة [1] .

٨ – فتح مدينة طليطلة [2]

وهى مما يلى الافرنج . فأنتخب له الرجال[3]. وسار طارق حتى وقـــف عليها وأناخ بها ، وبها أشراف الأندلس وأموالهم وذخائرهم ، فقاتلوهم قتـــالا شديدا حتى افتتحها، فأصاب فيها كنوزهم وأموالهم ، وغنم منها من الجوهـر

=دينار ولكن الحقيقة أنها كانت عملا سياسيا على أكبر جانب من الأهمية إذ أن وجهتها كانت مـــنازل قبيلة أوربة – قبيلة كسيلة بن لمزم وقلعتهم المسماة سجوما (على مقربة من فاس كما يقـــول البكـــرى) وهى فى قلب إقليم طنجة الذى كان إلى ذلك الحين خارجا عن سلطان المسلمين وإن كان محالفـــا لهـــم فكانت حملة موسى هذه قضاء على استقلال مرطانية الطنجية وإيذانا بإنشاء ولاية طنجـــة ، وســـنفصل الحديث عن ذلك

وقد احتلط الأمر على السيد المحى الكعبى ، فبحث عن سقيوما فى "كتب تاريخ الأندلس" كما يقـــول فلم يجدها (صفحة ٧٧ هامش ٢) وهذا طبيعى لأنها ليست فى الأندلس أصلا، بل فى المغرب الأقصـــى على رافد من روافد نهر المولدية غير بعيد عن فاس

(١) لا نجد ما يؤيد هذه الرواية إلا خبر غير واضح عند ابن عبد الحكم (القاهرة ١٩٦١م) صفحة ٢٧٨

(٢) هذا العنوان وارد فى الأصل

(٣) المؤلف يؤيد هنا ما يقوله آنفا من أن موسى أقام فى قرطبة وأرسل طارقا لفتح طليطلة خلافا لما هو معروف

ما لا يجد [١] له قيمة . وأصاب فيها مائدة سليمان بن داود، عليهما السلام ، وكانت من ذهب مكللة بالدر والياقوت وضروب الجواهر.

٩ - تاريخ المائدة

وكان سبب وصولها إلى طليطلة أن الروم أخذوا ما كان فى بيت المقدس من مكارم الأنبياء، عليهم السلام، حملوها إلى مدينة رومية، وحمل أسقافة النصارى مائدة سليمان إلى الإسكندرية ، فلما غزا عمرو بن العاص مصر هربوا إلى مدينة طرابلس، فلما نزل عمرو بن العاص لبدة هرب بها الروم إلى قرطاجنة، فلما دخل المسلمون إفريقية هربوا بها إلى مدينة طليطلة، ولم يكن لهم أمنع منها[٢] .

فلما ظفر بها طارق نظر إلى عجب لم ير مثله قط، فأمر بزبرجدها فقلع، وهى مكللة بالدر والياقوت، وعمل لها رجلا غيرها ، ونهض بجميع ما معه من الجوهر والأموال إلى موسى. ونظر من المائدة إلى عجب لم ير مثله، وذلك سنة أربع وتسعين.

فأتى موسى بن نصير شيخ كبير[٣] قد عصب حاجبيه من الكبر، فقال له موسى: من أنت ؟ فقال: رجل من أهل هذه البلاد. قال : مالنسا من العلم

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصح هنا : يوجد

(٢) هذا أيضا خبر طريف جديد علينا لا نجده عند ابن حيان (نفح الطيب ، ٢٧٢/١) الذى وافانا بأوفى خبر عن مائدة سليمان هذه. ولكننا نجده فى الأمامه والسياسة

(٣) هذا الشيخ مذكور فى نص عبد الملك بن حبيب عن فتح الأندلس نشره د. محمود على مكى ديلا على مقاله عن مصر وأصول علم التاريخ فى الأندلس . ص م . د أ مجلد ص ٢٢١ من القسم الإفرنجى

عندك ؟ قال افتتحتم قمونية [1] ؟ قال : نعم . قال : فإنكم لا بـد أن تنتـهوا مـن هذه البلاد إلى منتهاكم !

١٠ - موسى يستكمل فتح الأندلس

فنهض موسى يفتح مدائن الأندلس مدينة بعد مدينة حتى أنتـهى إلـى مدينة أربونـة ، فأراد لقاء ملك افرنجة ، فأخذ حنش الصنعانى بلجامه وقـال : سمعتك أيها الأمير تقول حين فتحت طنجة : لم يكن لعقبة ولا لأبـى المـهاجر من ينصحهما حتى أتيت أنصحك اليوم ، فأرجع فقد توغلت بالمسلمين[2] .

١١ - يابنى إسماعيل ، هذا منتهاكم

وعن يوسف بن هشام قال : كان جدى من خاصة موسى . فأخبرنى ، قال : انتهينا إلى صنم ، فوجدنا فى صـدر ذلـك الصنـم : "أرجعـوا يـابنى إسماعيل، فإلى هذا منتهاكم ! وإذا سألتم إلى ماذا ترجعـون أخـبرتكم أنكـم ترجعون إلى الاختلاف فى ذات بينكم حتى يضرب بعضكم بعضا، وقد فعلتم" [3].

---

(١) هذا الأسم محرف قطعا ، لأن قمونية فى إفريقية ، وهى تكتب أيضا قودة ، تعريب لاسـمه اللاتيـى
Caput Vada

(٢) علق المحى الكعبى على ذلك بقوله (ص ٨١ هامش ١) أورد هذا الخبر باختلاف ابن القوطيـة . "تاريخ افتتاح الأندلس" ط . بيروت ص ١٥٢
والصواب أن ذلك ورد فى قطعة من الإمامة والسياسية لابن قتيبة كان خليان ريبرا قد نشرها ذيلا علـى تحقيقه لتاريخ ابن القوطية وجعل عنوانها الرسالة الشريفية . أنظر ص ١٥٢ - ١٥٣ وقد ورد هـذا الخبر مع خلاف يسير فى رواية عبد الملك بن حبيب مسوبا إلى عبد الحميد بن حميد من موالى موسـى بـن نصير أنظر مقال د . مكى الآنف الذكر ، ص ٢٢٧

(٣) الخبر وارد بنفس المسند عند ابن عذارى ، ٢ / ١٧

وذكر عمر بن سهل مولى موسى بن نصير قال : لما أراد موسى الانصراف من ثغر الأندلس وضعت أكوام الذهب والفضة والجواهر بين يديه، فأمر بالنيران فأوقدت، ورمى فيها الجوهر والزمرد والياقوت وغير ذلك، فما صلب على النار ولم يتفرق عزله، وما تفرق منه تركه . وأتى بالمائدة فوضعت.

١٢ - عود إلى المائدة

وذكر لموسى شيخ كبير فدعا به، فإذا شيخ قد وقعت حاجباه على عينيه. قال له موسى : أخبرني كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمسمائة سنة . قال له موسى : ما هذه المائدة ؟ فقال : هذه مائدة سليمان بن داوود، عليهما السلام ، قال : وكيف وقعت إلى ... النصرانية عن اليهود قتل عيسى عليه السلام ... بها إلى بيت المقدس وحلف بطروش الملك ليرد من البيت ... فحمل عدو الله الذيل من الأندلس[1] في مراكب حتى رماه في بيت المقدس، وغزت النصرانية من كل مكان، واقتسموا ما في بيت المقدس، فصار لأهل الأندلس الذرارى والمائدة، وصار لأهل رومية تابوت داوود وعصا موسى ، عليهما السلام، والتوارة وحلة آدم ، عليه السلام، وصار لأهل قسطنطينية الياقوتة، فقال موسى : وما تلك الياقوتة ؟ قال ياقوتة ذى القرنين

---

(١) العبارة هنا مضطربة اضطرابا شديدا، والخبر وارد بالتفصيل فى "فتح الأندلس" لمؤلف مجهول ص ١٨ و ١٩ ، وبناء عليه اقترح تصويب العبارة كما يلى
قال . وكيف وقعت إلى [بلاد] النصرانية، [قال لما أد] عت اليهود قتل عيسى عليه السلام [حميت النصرانية حيث كانت وجمعت جيوشا وسارت] بها إلى بيت المقدس. وحلف بطروش الملك ليرد من البيت [يزيل الأندلس] فحمل عدو الله ... الخ .

التى يهتدى بها فى الظلمات، وهذه[1] أول ما رجع إلى بيت المقدس، وسيرجع كله[2].

١٣ – عودة بالمغانم

فاجتاز موسى بالأموال والذهب والفضة والجوهر والمراكب إلى طنجة، ثم حملها على العجل، فكانت وسق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة، تبدل عليها الأزواج فى كل مرحلة .

وقيل لرجل من أصحاب موسى يقال له أبو حميد [3] : كيف كانت المائدة؟ قال : كانت من ذهب مشوب بشئ من فضة ملون بحمرة وصفرة، وكانت مطوقة بثلاثة أطواق: طوق من ياقوت وطوق من زمرد وطوق من لؤلؤ.

قلت : فما كان يحملها ؟ قال : لما كنا بباغية أفلت بغل لرجل من اهل العسكر [و] قطع قيده [وجال بين] الأخبية ، وإذا من فى العسكر [. . .] موسى بن نصير، [فقال] احملوا عليه حمائلا [فحملوا عليه المائدة] .

---

(1) أى أن هذه الياقوتة أول ما رجع إلى بيت المقدس من الذخائر. وانظر تفاصيل أخرى عنها فى "فتح الأندلس" ص ١٩

(2) هذه العبارة تدل على أن أصل هذه الأسطورة مسيحى ، فأن كاتبها يرجو أن تعود هذه الذخائر إلى بيت المقدس

(3) الخبر وارد فى الإمامة والسياسة، وأسم الرجل هناك عبد الحميد (انظر ملحق ابن القوطية، ص ١٥٤ وهو فى الحقيقة عبد الحميد بن حميد الذى ذكره عبد الملك بن حبيب

فما بلغ المرحلة حتى تفسخت قوائمه[1] . قال[2] : إن موسى دعا ذلك الشيخ فقال له أين بلدك ؟ فقال : قرطاجنة ، قال موسى : كم أقمت بها ؟ قال : عمرت به ثلاثمائة سنة وبالأندلس مائتي سنة .

١٤ – خبر قرطاجنة ومن بناها [3]

فقال [4]: كيف كان خبر قرطاجنة ومن ومن بناها ؟ قال : قوم من بقية آل عاد الذين هلك قومهم بالريح ، وبقيت بعدهم خرابا ألف عام ، حتى أتى الزبير بن لاوذ بن تمود الجبار، فبناها على البناء الأول.

---

(١) الخبر كله وارد في الإمامة والسياسة، انظر ملحق ابن القوطية (بيروت) ص ٥٦ وسياق الأصل هنا مضطرب جدا فاجتهدت في إكماله بعبارات من أصل الخبر وضعتها بين حواصر وهو وارد أيضا عند ابن عذاري باختصار منسوبا إلى الرقيق (٤٣/١) وقد اعتبر المحقق الكعبي هذا الاقتباس من الأدلة على أن النص الذي نشره من تأليف إبراهيم الرقيق. والحجة هنا ليست قاطعة، لأنه لا يستبعد أن يكون الرقيق وهذا الرجل قد أخذ الخبر عن الإمامة والسياسة خاصة وأن هذا الجزء من الإمامة والسياسة مأخوذ من كتاب ألفه واحد من آل موسى بن نصير في فضائل جدهم. ويؤخذ ذلك أيضا أن أخبار موسى ومروية هنا على ألسنة رجال من موالي بيته أو جنده الذين رافقوه مثل عبد الرحمن بن سالم وابن صخر ويزيد بن سعيد بن مسلم مولى موسى و "محمد بن سليمان وغيره من مشايخ مصر" وعبد الحميد ابن حميد الذي يسمى في الإمامة والسياسة عبد الحميد (ص ١٥٤) ويسمى النص المنسوب إلى ابن الرقيق أبو حميد وهو يوصف بأنه من أصحاب موسى (ص ٨٢) وهناك أيضا يوسف بن هشام وعمر بن سهل مولى بن نصير (ص ٨١) . انظر عن بعض هؤلاء بحث د. مكي المشار إليه آنفا

(٢) الغالب أن الراوي هنا هو نفس أبو حميد عبد الحميد بن حميد

(٣) العنوان وارد في الأصل وهذا الخبر خاص بقرطاجنة إفريقية، ولكن فيما يليه اشارات كثيرة هامة إلى موسى وعلاقته بطارق وبالوليد وسليمان ابني عبد الملك، فرأيت إيراده استكمالا لهذه الرواية المنسوبة إلى الرقيق

(٤) السائل هنا موسى والراوي هو هذا الشيخ الذي يزعم أن عمره ٥٠٠ سنة ، ٣٠٠ منها في إفريقية و ٢٠٠ في الأندلس!

ثم احتاج إلى الماء العذب ، فبعث إلى أبيه ، وكان أميرا على الشام، وعمه على السند والهند، وكان ملكه من قرطاجنة إلى الأندلس، فأرسل إليه أبوه المهندسين، فهندسوا له الماء حتى وصلوا إلى قرطاجنة. قال : وكم كان عمره ؟ قال : سبعمائة سنة.

فارتادوا له مجرى القناة أربعين سنة. وكان لما حفر أساسه وجد حجرا مكتوبا فيه: هذه المدينة علامة حابها إذا ظهر فيها الملح. فبينما نحن ذات يوم فى غدير قرطاجنة إذ بان الملح على الحجر، فعندها رحلت إلى هنا.

١٥ - موسى يولي ابنه عبد العزيز الأندلس

ثم إن موسى بن نصير ولى على الأندلس ابنه عبد العزيز. وخلى معه حبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع[١] . وشخص موسى قافلا إلى الشام فوصل إلى مدينة القيروان فى آخر سنة خمس وتسعين، فلم ينزلها، ونزل منها على ميل من القيروان.

١٦ - موسى فى منتهى مجده

فحكى شيخ من أهل إفريقية [...] السهمدانى [٢]: أن موسى بن نصير قعد فى مجلسه، وجاءه العرب ممن سافر معه، ومن خلفه مع أبنه عبد الله بإفريقية، فلما احتفل المجلس قال: قد أصبحت اليوم فى ثلاث نعم : أقرا يا

---

(١) روى ذلك أيضا ابن عذارى (٢٣/١) وأضاف . وترك معه حبيب بن أبى عبيدة وزيرا ومعينا وكلا ابن عذارى وصاحب هذا النص أخطأ فجعله حبيب ابن أبي عبيدة ... وصحته ابن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع هذا هو الذى قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير

(٢) الخبر وارد عند ابن عذارى (٤٤/١) بدون سند . ولكن الخبر السابق عليه (٤٣/١) منسوب إلى الليث بن سعد، وهو يقول لم يسمع قط بمثل سبايا موسى بن نصير، وهذه العبارة واردة فى القطعة التى نشرها د. محمود مكى من تاريخ ابن حبيب

غلام كتاب أمير المؤمنين، فقرأ كتاب الوليد بشكره والثناء عليه، ووصف ما أجرى الله تبارك وتعالى من الفتوحات على يديه، فحمد الله ، فقاموا إليه فهنوه[1] بذلك . ثم قال : أقرأ كتاب أبني عبد العزيز، يصف ما فتح الله [على يديه] [2] بعده في الأندلس، فقاموا إليه بيهو فيه جوار مختلفات الألوان، من ملساء إلى ناهد إلى منكسرة [3]عليهم الحلى والحلل فهنئ بذلك، وعلى ابن رباح اللخمى ساكت، فقال له موسى : يا على، مالك لا تتكلم ؟ فقال : أصلح الله الأمير، قد قال القوم ! قال : وقل أنت ! قال : أنا أقول وأنا أنصح الناس لك : إنه ما من دار ملئت حبره إلا أمتلأت عبره، ولا أنتهى شئ إلا رجع. فارجع قبل أن يرجع بك ! قال : فأنكسر موسى، ثم التفت فقال : يا فلان ، جئنى بهؤلاء الجوارى. هذه ، قم .. يا فلان فخذ هذه، حتى أزفهن كلهن[4] .

فأقام بعد عيد الأضحى بقصر الماء [5]، ثلاثة أيام بعسكره ثم رحل إلى المشرق ومعه طارق ، وقد قفل به ويكل ما أصاب من الأموال والجوهر

---

(١) تفاصيل الخبر هنا منقوصة راجعها عند ابن عذارى ١/٤٤ .
وقد صحح المحشى الكعبى لفظ فهنوه إلى فهأوه وأشار إلى ذلك فى الهامش، ولاداعى لهذا التصحيح

(٢) زيادة من ابن عذارى (١/٤٤) لا يستقيم بغيرها السياق

(٣) جاء فى لسان العرب (م• كسر) : "ورجل كاسر من قوم كسر، وأمرأة كاسرة من نسوة كواسر وكسر، وشئ مكسور، وفى حديث العجين قد انكسر أى لان واختمر، وكل شئ فتر فقد انكسر، يريد أنه صلح لأن يخبز" والمراد . ملساء أى صبية لم يظهر لها ثدى وناهد أى شابة فى مقتبل العمر ومنكسرة أى أمرأة ناضجة

(٤) العبارة فيها أضطراب ونقص، ولكنها واضحة، ويمكن إكمالها هكذا ثم ألتفت فقال. يافلان جئنى بهؤلاء الجوارى ، هذه ، قم [يافلان وخذها، وأنت] يافلان فخذ هذه، حتى أزفهن جميعا
أما ابن عذارى (١/٤٤) فقد أراح نفسه وقال . فانكسر موسى، وفرق جواريه من حينه على الناس

(٥) قال ابن عذارى أن موسى عندما أقترب من القيروان فلم يدخلها ونزل بقصر الماء، ثم قعد فى مجلسه ... إلخ

والمائدة، وخلف على إفريقية عبد الله ابنه، وكان أكبر بنيه، وعلى طنجة ابنه عبد الملك [1].

وسار فلما [...] ومر بخربة عادية ومدينة من مدائن الأولين نزل فركع ركعتين، ومشى فيها، وفكر فى معالمها وآثارها، وبكى بكاء كثيرا.

١٧ - موسى بين الوليد وسليمان

ثم إنه ركب بريد الشام، فلما كان بالعريش جاء كتاب الوليد يستعجله، وجاءه كتاب سليمان يأمره بالتربص. وكان سليمان ولى عهده، وكان الوليد مريضا بدير من غوطة دمشق، فأسرع موسى ولم ينظر فى كتاب سليمان، ودفع الأموال إلى الوليد ، وأهدى إليه المائدة والدر والياقوت.

١٨ - موسى وطارق أمام الوليد - غضب الوليد على موسى

وذكر موسى للوليد أنه الذى أصاب المائدة وفتح طليطلة. فلما رأى ذلك طارق دخل على الوليد وهو مريض [و] أعلمه بالقصة، وأخبره أن موسى تعدى فى أموال المسلمين وأنفقها. فبعث إلى موسى وجمع بينهما بين يديه، وكذبه موسى، فقال طارق: يا أمير المؤمنين، ادع بالمائدة، وانظر هل ذهب منها شئ، فدعا بها الوليد ، ونظرها ، فإذا رجل من أرجلها لا يشبه بقية الأرجل، فقال له طارق: سلة عنها يا أمير المؤمنين، فإن أخبرك بأمر الرجل، وإلا استدللت صدقى على كذبه، فقال موسى: هكذا وجدتها، فقال طارق: الرجل عندى فلما دعا بها ونظرها [و] وضعها فى المائدة علم أنها

---

(1) ويفهم من ابن عذارى (١/٤٤) أن ابنه الثالث مروان كان على السوس، وابنه الرابع عبد العزيز كان على الأندلس

منها، وأمر بحبسه ، وأحضر من يعرف قيمة الجوهر، فقومت تلك المائدة بمائتى ألف دينار، ولم يلبث الوليد إلا ثلاثة أيام حتى مات.

١٩ – **موت الوليد بن عبد الملك.** [١]

ولاية سليمان بن عبد الملك سنة ست وتسعين

توفى سلخ جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر.

ويويع لسليمان بن عبد الملك بالخلافة حين توفى الوليد، فسخط على موسى وقال له : يا يهودى! كتبت إليك فلم تنظر فى كتابى ، هلم مائة ألف ! قال : يا أمير المؤمنين، قد أخذتم جميع ما فى يدى، فمن أين لى بمائة ألف ؟ فقال لا بد من مائتى ألف ! فأعتذر إليه ، فقال: لا بد من ثلاثمائة ألف ! وأمر بتعذيبه وعزم على قتله، فلجأ موسى بن نصير إلى يزيد بن المهلب، فأستجار به، وكانت ليزيد ناحية من سليمان، فأستوهبه دمه، فقال: يؤدى ما عنده .

*****

تلك هى رواية ذلك النص المنسوب إلى إبراهيم بن القاسم القيروانى المعروف بالرفيق عن فتح الأندلس، وقد أندرجت فيها بعض أخبار فتوح المغرب وأخبار موسى وطارق بعد عودتهما إلى المشرق، وهى رواية فيها مشابه من رواية ابن عذارى، ولكنها تنفرد بتفصيلات جديدة علينا وخليقة بأن تحفزنا على إعادة النظر فى بعض حلقات ذلك الفتح الكبير.

وسأكتفى هنا بالإشارة إلى أهم ما فى هذه القطعة من جديد.

---

(١) هذا العنوان وارد فى الأصل .

المسلمون وإقليم طنجة

يفهم من الفقرة أن حامية طارق التى أرصدها موسى فى طنجة أساءت إلى أهل البلد فكتب هؤلاء إلى أهل الأندلس يشكون من هذه المعاملة ويستعينون بهم.

ونرى من هذه القطعة كذلك أن طارقا وحاميته كانوا يتخوفون من أهل الأندلس، ولهذا فلم يكادوا يرون مراكب اليان قادمة حتى كمنوا لها وهاجموها فسارع اليان وأبلغهم أنه أتى عامدا إليهم مستعينا بهم.

ويبدو أن هذا الخبر يلقى ضوءا على وضع طنجة وإقليمها وعلاقاتها بالمغرب الأقصى والأندلس.

والآراء المختلفة عن وضع هذه الناحية فى ذلك الحين تتلخص فى ثلاثة احتمالات: فهناك من يقولون : إن طنجة وسبتة وكل ما كان يعرف بولاية مرطانية الطنجية **Mauretania Tingtana** كانت تابعة – ولو من الناحية الأسمية – للدولة البيزنطية، وأن هذه الناحية كانت بعض ما استعاده جستنيان (٥٢٧ م – ٥٦٠م) عندما نهض لاستعادة ما استولى عليه المتبربرون من أراضى الدولة الرومانية. وعلى هذا فيكون المسمى اليان أو يليان حاكما بيزنطيا، وهناك من أعطاه لقب الاجزرك أو البطريق[1] .

وهناك من يقولون : إنه زعيم بربرى، كان شيخ قبيلة غمارة.

---

[1] قال بأن هذه الناحية كانت تابعة إسميا للدولة البيزنطية . سائدرا فى كتابة عن فتح العرب للأندلس . بل ذهب إلى أن يليان نفسه كان فارسي الأصل خدم الدولة البيزنطية انظر كتابة عن فتح العرب للأندلس، ص ٨

وها هو ذلك النص يقول : إن يليان ابن ملك الأندلس ، أى ابن من أبناء غيطشة الذى عقب لذريق عرشه، ولا نجد فى مراجعنا ما يؤيد هذا القول، وهو مستبعد، لأننا نعرف آل غيطشة معرفة جيدة، وليس فى أخبارهم ما يسمح بالقول بأن غطيشة كان له ولد يسمى اليان أو ما يشبه ذلك الأسم.

ولكن قول النص إنه كان غلاما حدثا يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كان أليان هذا هو نفس يليان الذى لقيه عقبة بن نافع على طنجة قبل ثلاثين سنة. ألا يمكن أن يكون هذا الحدث أليان بن يليان القديم الذى لقيه عقبة ؟ لقد ذهبنا إلى هذا الافتراض فى بحث سابق قبل أن نطلع على هذا النص، ومن الممكن الآن أن نقول : إن يليان الأول صاحب عقبة كان من أتباع غيطشة وأصحابه، ولهذا اجتهد فى صرف عقبة عن غزو الأندلس ونصحه بالاتجاه إلى الجنوب ومواصلة غزو البربر وأصبح بعد ذلك حليفا للمسلمين معاهدا لهم. فلما وثب لذريق بغيطشة وأولاده وأنصاره، أسرع هذا الشاب أليان الذى نفترض أنه ابن يليان الكبير إلى العرب وحرضهم على غزو الأندلس، واشترك معهم فى ذلك انتقاما من لذريقز وسنرى بعد قليل أن العرب كانوا قد فتحوا إقليم طنجة وأنشأوا فيها ولاية إسلامية قبل ذلك.

أما ما يحدثنا به النص من أن أصحاب طارق (أى الحامية الإسلامية التى احتلت إقليم طنجة) تحاملوا على أهل البلد وأساءوا إليهم فيدل على أن طنجة كانت أول الأمر جزءا من مرطانية الطنجية التى كان يتولاها يليان نائبا عن ملك القوط أو عاملا له، فلما جاء موسى استولى على طنجة وأدخل فيها حامية من الجند الإسلامى وأنشأ ولاية إسلامية جديدة هى طنجة أو المغرب الأقصى وأنشأ فيه ولاية السوس أو سجلماسة الإسلامية وأقام عليها مولاه طارق.

وتؤيد هذا عبارة لابن القطان أوردها ابن عذارى نقول: الأكثرون يقولون إن مستقر طارق قبل محاولة الأندلس كان بطنجة، ومنهم من يقول: كان بموضع سجلماسة، وإن سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبته كانت للنصارى[1] .

وعبارة " وإن سلا وما وراءها ... الخ" تؤيد ما قلناه من أن ولاية مرطانية الطنجية كانت لا تزال باقية عندما وصل موسى إلى طنجة. ومعنى هذا أن عقبة بن نافع لم يفتحها بل اكتفى بحلف يليان ثم اتجه إلى الجنوب لاستكمال فتح المغرب، ثم جاء موسى فتح طنجة فى ظروف سنشرحها وجعلها ولاية إسلامية، وأدخل فيها حامية إسلامية هى التى يقول النص إنها أساءت معاملة أهل طنجة فشكوا إلى أهل الأندلس، وكان ذلك فى أيام الانقلاب الذى قام به لذريق وقضى فيه على غيطشة وآله وأصحابه ومنهم آل يليان، ومنهم هذا "الغلام الحدث" أى الشاب اليان الذى ركب البحر وعبر إلى طارق لكى يدعوه إلى فتح الأندلس.

وهذه الحامية الإسلامية التى أقامها موسى فى طنجة تكونت من :

أ – الرهائن الذين أخذهم حسان بن النعمان من قبائل البربر بعد أن هزم الكاهنة وقتلها ، وعدد هذه الرهائن ١٢٠٠٠ فارس من مختلف قبائل البربر الذين كانوا يحاربون المسلمين مع الكاهنة، وقد جعلهم حسان فرقتين، كل فرقة ٦٠٠٠ فارس وأقام على الأولى يفرن بن الكاهنة وعلى الثانية يزديان ابن الكاهنة الثانى، وترك مع هؤلاء ثلاثة .

---

(1) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ٤٤/١
وأنظر بحثنا . التنظيم الإدارى والمالى لإفريقية والمغرب خلال عصر الولاة مجلة كلية الآداب بجامعة الكويت مجلد ١ سنة ١٩٧٣ م ز ص ٨٥ – ٨٦ .

عشر رجلا من علماء التابعين يعلمون لهم القــرآن وشــرائع دينـــهم. فرجع حسان إلى القيروان، وذلك فى سنة ٨٢ للهجرة [1].

ولم يذكر عبيد الله أين أرصدهم حسان، ولكنه يقول فى نص سنأتى بـه بعد ذلك إنه جعلهم فى طنجة.

ولما كانت قبيلة جراوة – قبيلة الكاهنة – زناتية فيغلب على الظــن أن هؤلاء الرهائن كانت غالبيتهم من الزناتيين.

ب – الرهائن الذين أتى بهم قواد موسى الذين أتموا فتح الســـــــــوس (أى الجزء الجنوبى من المغرب الأقصى جنوبى حـــوض نــــهر فـــاس) وأهمهم مروان بن موسى وزرعة بن أبى مـــــدرك، فـأخضعوا قبـائل البربر الذين لم يأخذ حسان رهائنهم. وقد أشار إلى ذلك عبيد الله بـــن صالح بقوله " فأخذ (موسى) رهائنهم: رهائن كتامة وزناتة وهـــوارة ، فجمعهم مع رهائن حسان، وولى عليهم طارق بن زيـــاد ورجـــع إلـــى إفريقية"[2] ومعظم هذا الفريق من الرهائن من الصنهاجيين المصامدة.

---

(١) نص عبيد الله بن صالح عن فتح العرب للمغرب، نشر ليفى بروفنسال فى ترجمة فرنسية له فى مجلة أريكنا ونشرنا نحن نصه فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريـــد، مجلــد ٢ (١٩٥٤م) ص ٢٢٣ وقمنا بترجمة الدراسة التى عملها المحقق من الفرنسية إلى العربية ثم علقنا على النص أما قولـــه إن الثلاثة عشر الذين تركهم حسان عندهم كانوا من التابعين فغير صحيح فى الغالب

(٢) نفس النص ، ٢٢٤

ج – يذهب ابن خلدون [1] إلى موسى ترك معهم ٢٧٠٠٠ من العرب ، وفى قول آخر ١٧٠٠٠ ولكن الراجح والمعقول ما يقوله عبد الملك بن حبيب، من أن عدد العرب الذين تركوا هناك ١٧٠٠ فقط. وهناك من يذهب إلى أنهم كانوا سبعة عشر فحسب، ولكن الغالب أن هذا عدد أهل العلم من العرب الذين تركوا هناك ليعلموا الناس الإسلام.

والمفهوم أن مايسمى هنا بالرهائن يراد به أعداد من الجند تقدمها كل قبيلة دخلت فى الطاعة ضمانا لطاعتها ودليلا على ولائها للإسلام ودولته أى أنها جزية أو إتاوة على القبائل الموالية فى صورة معاونات عسكرية للعرب. وقد استخدم طارق هذه القوات البربرية الزناتية والصنهاجية ومن كان معها من العرب القليلين فى فتح الأندلس، قال عبيد الله بن صالح : "وبرهائن المصامدة جاز طارق بن زياد إلى جزيرة الأندلس ففتحوها ، وذلك فى آخر يوم من رمضان سنة ٩٢ من الهجرة، وقتلوا لذريق ملك النصارى بجزيرة الأندلس. وذكر الرازى فى كتابه أعيان القبائل الداخلين مع طارق بجزيرة الأندلس" (ص ٢٢٤) ويروى ابن عذارى نفس الخبر، ولكن بصورة أكمل وأكثر اتفاقا مع الواقع وذلك فى خبر طويل نورده فيما يلى مقسما إلى فقرات لتتضح أهمية المعلومات التى يتضمنها:

---

(١) قال بأن عدة العرب ٢٧٠٠٠ ابن خلدون (تاريخ ٤٣٩/٦)، أما ابن عذارى فقد جعل عددهم ١٧٠٠٠ (٤٢/١) وجعلهم عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ١٧ فقط (ص ٢٣٤) وذكر عبد الملك بن حبيب أن عددهم ١٧٠٠ فقط. أنظر نصه الذى نشره د. محمود مكي ذيلا على مقالة عن مصر وأصول التاريخ للأندلس ، ص ٢٢٣ ولكن ابن عذارى عاد فذكر أن موسى ابن نصير ترك سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام" (نفس الصفحة) فهل يريد أن يقول أنه كان هناك ١٧٠٠٠ عربيا من المقاتلين و١٧ من المعلمين؟ .

١ – ثم خرج موسى – رحمه الله – غازيا من إفريقية إلى طنجة، فوجد البربر قد هربوا إلى الغرب خوفا من العرب، فتتبعهم ، وقتلهم قتلا ذريعا، وسبى منهم سبيا كثيرا.

٢ – حتى بلغ بلاد السوس الأدنى وهو بلاد درعة[١] .

٣ – فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا ، فولى عليهم واليا[٢].

٤ – واستعمل مولاه طارقا على طنجة وما والاها فى سبعة عشر ألفا من العرب واثنى عشر ألفا من البربر، وأمر العرب أن يعلموا البرابر القرآن، وأن يفقهوهم فى الدين ثم مضى موسى قافلا إلى إفريقية.

٥ – قال ابن القطان: وذكر أن موسى بن نصير بعث إثر بيعته للوليد فى هذه السنة المؤرخة (سنة ٨٦هـ/٧٠٥م) زرعة بن أبى مدرك إلى

---

(١) يلاحظ هنا أن موسى لم يهاجم أول الأمر إقليم طنجة، أى ولاية مرطانية الطنجية وواليها هو يليان المشهور ، وكان محالفا للعرب من أيام عقبة بن نافع قال عبيد الله بن صالح فى كلامه عن أعمال عقبة : " فوصل عقبة إلى طنجة، فوجد عليها يليان ، فاستأمن معه يليان فذهب عقبة حتى وصل مدينة وليلى بمقربة من الموضع الذى بنى فيه فاس قبل بنيان فاس، فوجد فيه جموع البربر، فقاتلهم حتى هزمهم واتبعهم حتى إلى درعة " (صفحة ٢٦٨) . ومعنى هذا أن عقبة اعتبر منطقة طنجة محالفة فلم يحاربها واتجه جنوبا حتى وصل إلى وليلى ومن هناك بدأ حرب قتال البربر، أى أن خط وليلى يعين حدود منطقة طنجة التى لم يفتحها عقبة ونفهم من هذا كله أن العرب فتحوا إقليم السوس وهو جنوبى المغرب الأقصى قبل أن يفتحوا شماله، وأن ولاية السوس أو سجلماسة نشأت قبل أن تنشأ ولاية طنجة ويؤيد ذلك قول ابن القطان (ابن عذارى ٤٤/١) أن مستقر طارق بن زياد أو الأمر كله فى سجلماسة وإ سلا وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبتة كانت للنصارى" أى حتى مجىء موسى بن نصير.

(٢) يفهم من التعليق السابق أن هذا المولى كان طارق بن زياد

قبائل من البربر، فلم يلق حربا منهم ، فرغبوا فى الصلح منه، فوجه رؤساءهم إلى موسى بن نصير، فقبض رهونهم[1] .

٦ – ثم عقد لعياش بن أخيل على مراكب إفريقية ، فمشى فى البحر إلى صقلية. فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة، ففتحها [وغنم] جميع ما بها، وقفل سالما غانما [2].

٧ – ولما حمل أبو مدرك زرعة بن أبى مدرك رهائن المصامدة، جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم [3] من إفريقية والمغرب، وكانوا على طنجة ، وجعل عليهم مولاه طارقا [4].

٨ – ودخل بهم جزيرة الأندلس[5] .

٩ – وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجلا من العرب يعلمونهم القرآن وشرائع الإسلام. وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم [6]القرآن والإسلام، منهم شاكر صاحب الرباط وغيره.

---

(١) هذه الفقرة كان ينبغي أن تأتي قبل السابقة عليها (رقم ٤)، أى أن موسى أعاد فتح السوس على يد قائده زرعة بن أبى مدرك وأقر عليه طارقا، ثم فتح إقليم طنجة ونقل إليها طارقا

(٢) هذا يدل على أن موسى قام بنشاط واسع فى الفتوح من مستقره فى القيروان، فغزا زغوان ثم المغرب الأقصى الجنوبى (السوس) ثم صقلية ثم الأندلس.

(٣) تتضح هذه العبارة أكثر إذا حملناها . وجمعهم موسى إلى رهائن البربر التى أخذهم ابن النعمان

(٤) كان مع زرعة فى هذه الغزوة مروان بن موسى بن نصير وعاد منها بسبى عظيم

(٥) هذه الفقرة زائدة ولا محل لها هنا .

(٦) أعتقد أن ابن عذارى ترك هنا حادثة لها أهميتها ، وهى حملة سقوما التى ذكرناها. كانت سقوما داخل ولاية مرطانية الطنجية التى لم يفتحها العرب إلى ذلك الحين وقد رأينا أن موسى أراد أن يحترم حلفه مع واليها، ولهذا قال أن أهل سقوما قوم على الطاعة وكان الذين ضغطوا عليه لفتحها أولاد عقبة وأولاد أبي المهاجر دينار. وقد فصل أمر الحملة ابن عذارى نفسه (صفحة ٤١) وعبيد الله بن صالح (صفحة ٢٢٤) والنص المنسوب إلى الرقيق (صفحة ٧٧) ولكن أحدا منهم لم يتنبه إلى أن هذه الحملة كانت نهاية استقلال مرطانية الطنجية، فقد كانت مباشرة احتل موسى طنجة وأصبحت بذلك ولاية=

١٠ – ولم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاة خلفاء بنى أمية بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهرى، ولم يعرف المصامدة غيره، وقيل إن أكثرهم أسلموا طوعا على يديه. ووصل موسى بن نصير بعده.

١١ – وفى سنة ٩٣ من الهجرة جاز طارق إلى الأندلس، وأفتتحها بمن كان معه من العرب والبرابر ورهائنهم الذين ترك موسى عنده والذين أخذهم حسان من المغرب الأقصى قبله.

١٢ – وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى فى سنة ٨٥هـ.

١٣ – وفى هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التى كان بناها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر فى مسجد الجماعات وفيها صنع مسجد أغمات هيلانة.

١٤ – ونسب طارق هو : "طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نيرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، فهو نفزى ، ذكر أنه من سبى البربر. وكان مولى موسى بن نصير" [1] .

= عربية إسلامية جديدة تشمل شمال المغرب الأقصى، وتولى أمرها أولا مروان بن موسى ثم نقل إليها طارق بن زياد

وبعد هذا الفتح انقطع الحلف مع يليان أو مع آله، ولهذا نلاحظ من رواية النص المنسوب إلى الرقيق أن طارقا ومن معه من المسلمين كانوا على حذر من أهل الأندلس ورجالهم. فلما أقبل رجال من الأندلس عليهم بإليان كمنوا لهم ليوقعوا بهم فقال لهم إليان أنه أتى هذه المرة صديقا لهم مستعينا بهم. ويظهر أن إليان الذى يوصف فى نص الرقيق بأنه غلام حدث كان ابن يليان القديم أو خليفته على مرطانية الطنجية

(١) عند عبد الله بن صالح إن الذى صنع إذ ذاك منبر أغمات هيلانة، وهذا أصح (فقرة ١٩ من نصه ، ص ٢٢٣)

الخلاصـــــة

إلى هنا ينتهى نص ابن عذارى ، وقد أتينـــا فيمـــا سـبق بـــالنص المنسوب إلى الرقيق مع نصوص أخرى وحللنا فى غضون هذا البحــث كــلام هذه النصوص فقرة فقرة، ولهذا فإننا نرى أنه من المفيد فى ختام هذا البحــث أن نوجز أهم الوقائع الجديدة التى انتهينا إليها فى هذا التحقيق خاصة بفتــح العرب للمغرب والأندلس. وقد تكلمنا عنها كلها فـــى ســياق بحثنــا، ولكننــا نجمعها كلها هناك فى صعيد واحد على نسق مترابط:

١ - تولى موسى بن نصير المغرب سنة ٨٥هـــــ/٧٠٤م ، بسـعى عبـد العزيز بن مروان عامل مصر. وكان غرض عبد العزيــز مـــن هــذا السعى فى عزل حسان بن النعمان واستبداله بموسى أن يقوم بفتــوح واسعة تعود على الدولة بخير عظيم سواء فى اتساع الرقعة أو فـــى المغانم والمكاسب السريعة التى تنتج عن الفتح.

٢ - وقد بذل موسى بن نصير بالفعل نشاطا واسعا فى فتوح إفريقية ثـــم الأندلس تغيرت نتيجة لها صورة الغرب الإسلامى كله. وقـــد أثبــت موسى بن نصير بذلك أنه لا يقل قدره عن معاصريه الفـــاتحين فـــى الجناح الشرقى لمملكة الإسلام ومعظمهم مـــن رجـــال الحجـــاج بـــن يوسف، وكان لا يحب موسى بن نصير ولا يثق ، فأثبت موسى أنـــه يضارع الحجاج ورجاله فى هذه الناحية وسنورد فيما يلـــى فتوحـــه مرتبة على قدر ما تيسر لنا:

أ - فتح قلعة زغوان وإقليمها على مرحلة - أى نحـــو ٤٠ ك م - من تونس غربا، وكانت قاعدة ناحية جبليـــة غنيـــة، وهـــى

إحدى الجيوب التى لم يكن قد تسنى لحسان بن النعمان فتحها.

ومن المؤكد أن موسى فتحها بعد وصوله إلى القيروان مباشرة.

ب - فى نفس الوقت بعث كلا من ولديه عبد الله ومروان على رأس جيش لغزو ناحية - لم يحددها المؤرخون - ممـا لم يكن قد تم فتحه بعد من نواحى المغرب الأوسط فعاد كل منهما بالغنائم الكثيرة ثانيا حتى تثبت قدم موسى فى الولاية وقد تم لموسى ذلك فعلا.

ج - وقد أعتمد موسى فى أعماله على أولاده الكثيرين وأهمهم عبد الله ومروان وعبد الأعلا (أو عبد العلا فى الإمامة والسياسة) وعبد العزيز وعبد الملك، ثم على عياض وأبى عبيدة ابنى عقبة بن نافع وعبد الجبار بن سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن أبى بروة وأبى مدرك زرعة بن أبى مدرك وسليمان بن بحر بن أبى المهاجر وعياش بن أخيل وطارق بن زياد ومغيث الرومى وحبيب بن أبى عبيدة بن عقبة بن نافع وغيرهم ممن أثبتوا فيما بعد أنهم من كبار القادة وقادة الفتوح.

د - وفى هذا الوقت أيضا نستطيع أن نضع الحملة البحرية التى أرسلها موسى إلى صقلية بقيادة عياش بن أخيل، وهى بحرية ناجحة فى فتوح البحر فقد عاد المسلمون منها بغنائم وفيرة. وهذا النجاح سيكون السابقة التى ستشجع العرب على

القيام بغارات مماثلة على الأندلس مثل غـــارة أبـــى زرعـــة طريف على جنوبى الأندلس وكانت طليعة لحملة طارق.

وقد قام موسى بكل هذه الغزوات لأول ولايته لكى يثبت لعبـــد الملك بن مروان ثم لابنه الوليد أنه جدير بولاية المغرب كمـــا قلنا . ومن المعروف أن عبد الملك لم يكن راضيا أول الأمـــر عن تحامل أخيه عبد العزيز بن مـــروان علـــى حســـان بـــن النعمان واضطراره إلى الاعتزال لإحلال موسى بـــن نصـــير محله، فأجتهد موسى فى الفتوح ليثبت أنه خير من حسان بن النعمان.

هـــ - الحملة الكبرى التى أرسلها على السوس بقيادة زرعة بن أبى مدرك يرافقه ابنه مروان وطارق بـــن زيـــاد وهـــى الحملـــة الحاسمة التى قضت على كل مقاومة لبربر المغرب الأقصـــى، وقد ذكرها بتفصيل عبيد الله بن صالح (ص ٢٢٤ فقـــرة ٢٢) ، وتلك هى الغزوة التى افتخر بها موسى بن نصير وعدهـــا واحدة من أكبر نعم الله الثلاث عليه عندما تحدث فى مجلـــس ذكره ابن عذارى (١/٤٤) وغيره.

وعقب هذه الحملة نشأت بصورة نهائية ولايـــة الســـوس أو سجلماسة. ونعتقد أن طارق بن زيـــاد كـــان أول ولاه هـــذه الولاية الجديدة . (انظر ابن عذارى ١/٤٤) .

و - بعد ذلك نجئ حملة سجوما أو سقومة أو ســـقيوما، وكـــانت هذه البلد كما قلنا معقل قبيلة أورية وبقية القبائل المغربيـــة المحالفة للبيزنطيين ثم للقوط الغربيين، وكانت هذه القبـــائل

تؤيد يليان والنصارى أى أهل الأندلس. ومؤرخونا القدامى يقولون إن موسى قام بها بعد احتلال طنجة. ولكن منطق الحوادث يقول إنها كانت سابقة على ذلك، بل قام بها موسى ورجاله إنهاء استقلال منطقة طنجة وشمال المغرب الأقصى عن الحكم العربى، وكانت فى نفس الوقت انتقاما من هذه القبائل التى اشتركت مع الروم فى مقتل عقبة. هذه الغزوة تعين نهاية السلطان الحضارى للبيزنطيين على مرطانية الطنجية ونهاية السلطان السياسى للقوط الغربيين على نفس المنطقة. بعدها مباشرة احتل موسى طنجة، وأنشأ ولاية طنجة أو المغرب الأقصى ، وأقام عليها ابنه مروان ثم طارق ابن زياد.

أحتل طارق طنجة بقوات بربرية بعضها من رهائن حسان وكل هذه الرهائن من قبيلة جراوة الزناتية (قبيلة الكاهنة) والقبائل الموالية لها، وبعض هذه القوات من رهائن موسى وكلها من قبائل صنهاجية مصمودية.

هؤلاء جميعا كانوا أغرابا عن منطقة طنجة، ولهذا فقد ثقلت وطأتهم على أهل الإقليم، فأرسلوا يستنجدون بسادتهم القدماء وهم قوط الأندلس. هذه هى الحقيقة الجديدة التى يكشف عنها النص المنسوب إلى الرقيق. أرجو أن يراجع القارئ الفقرة الأولى من ذلك النص وقد أتينا بها آنفا.

هنا أيضا نستطيع أن نقول إن ذلك الاحتلال كان نهاية العلاقات الحسنة التى قامت بين يليان أو خلفائه والعرب،

وساد بعد ذلك شعور عداء بين المسلمين سادة إقليم طنجة والقوط الغربيين أو رجالهم فى جنوب الأندلس.

والفقرة الأولى من النص المنسوب إلى الرقيق تؤيد ذلك، فقد كان طارق وحاميته متخوفين متحرزين من ناحية القوط فى الأندلس.

أما عودة الاتصال والتعاون مع قوم يليان فتشرحه نفس الفقرة، واليان الغلام الحدث الذى يحدثنا عنه النص ربما كان ابن يليان القديم، ومجيئه إلى طنجة للأستعانة بطارق كان نتيجة لسوء تصرف لذريق الغاصب للعرش مع آل غيطشة وأنصارهم. (ومنهم آل يليان). لقد أتى إليان الابن مستجيرا بالعرب، ولم تكن فكرته مجرد الاستعانة بالعرب مؤقتا على اعتبار أنهم أهل غارة ومغنم وأنهم سيزيلون ملك لذريق ويغنمون ثم يعودون. بل كان يعرف أن العرب سيزيلون ملك القوط ثم يحلون محلهم. (أقرأ الفقرة ٣ من النص) .

أما ما يذكره النص من أن إليان الغلام الحدث قال لطارق إنه ابن ملك الأندلس ، فيمكن تفسيره على أن المراد به أنه ابن أحد رجال ملك الأندلس، الشرع (غيطشة) الذى غصب لذريق عرشه .

ثم تجئ بعد ذلك أحداث فتح الأندلس حسب الراوية الجديدة وأهم ما فيها من الجديد:

١ – ما ذكرناه آنفا من نوع العلاقات التى كانت بين أليان والعرب.

٢ – أن موسى بن نصير لم يعلم بعبور طارق إلا بعد أن تم هذا العبور.

٣ – تفاصيل جديدة تقدمها الفقرتان ٤ ، ٥ من النص عن المعركة الحاسمة التى دارت بين المسلمين ولذريق.

٤ – فى الفقرة ٥ نرى أن لذريق فر إلى الشرق وأدركه المسلمون وقتلوه عند وادى الطين Guadalentin قرب لورقة فى ناحية مرسية. هذا القول تؤيده بعض المراجع النصرانية كما رأينا ويؤيده أيضا نص المؤلف المجهول الذى سنجعله ذيلا على هذا البحث.

٥ – الفقرة ٦ من النص تقدم لنا تفاصيل هامة عن طبيعة المعركة.

٦ – عقب الهزيمة هرب فل القوط فى اتجاه قرطبة، فأمر طارق رجاله أن يسبقوهم إليها ، وبالفعل تم ذلك وتمكن المسلمون من منع القوط من دخول قرطبة والتحصن بها.

٧ – عقب ذلك دخل طارق قرطبة. فهو إذن الذى احتلها وليس مغيثا الرومى. وربما يكون القول بأن مغيثا هو فاتحها ناتجا من أن موسى وطارق تركاه واليا عليها عندما سارا معا لفتح طليطلة وبقية إسبانيا.

٨ – عندما وصل الخبر إلى موسى غضب على طارق وخاف أن يفوز بالفتح وحده، فأقبل مسرعا مع جنده العربى وعبر الزقاق ونزل عند الجزيرة الخضراء ثم اتجه نحو قرطبة.

٩ – ولم يخرج طارق من قرطبة للقاء موسى، إما لأنه خاف أن ينتقض البلد عليه كما يقول النص (فقرة ٥) أو لأنه خاف من غضبه. وأعتقد أن هذا هو الغرض الأصح، لأن طارقا سارع بارسال الهدايا والمغانم إلى موسى ليريه أن الفتح تم بأسمه وأن خيراته ومغانمه تعود إليه.

١٠ – ويؤيد ذلك أيضا أن النص يذكر أن طارقا استجار بعبد العزيز ابن موسى فشفع له عند أبيه حتى رضى عنه. وفى الفقرة ٧ نرى بوضوح كيف أن موسى أطمأن بعد ذلك إلى أنه انتزع شرف الفتح كله من طارق ورضى عنه. وتكاملت لديه الجيوش فأرسل طارقا نحو طليطلة.

١١ – أما هو – موسى – فقد استقر فى قرطبة واعتبرها مركزه وقاعدته فى البلد الحديث الفتح ، وربما كان هذا هو السبب فى أن قرطبة أصبحت عاصمة الأندلس، الإسلامى فيما بعد.

١٢ – ويقرر النص (فقرة ٨) أن طارقا هو الذى فتح طليطلة وحده، وأرسل بالمغانم إلى موسى ومن بينها المائدة المشهورة.

١٣ – بعد ذلك نهض موسى للفتح واستمر فيه حتى وصل أربونه (فقرة ١٠) وأراد الاستمرار لفتح بلاد إفرنجة لولا أن أوقفه حنش الصنعانى.

١٤ – المعلومات التى تقدمها لنا الفقرتان ١١، ١٢ عن الغنائم والمائدة لا تخلو من قيمة تاريخية وإن لم تكن كلها جديدة علينا.

١٥ – كذلك الفقرتان ١٣، ١٤ تقدمان لنا معلومات طريفة عن مائدة سليمان وعن قرطاجنة إفريقية.

١٦ – تقول الفقرة ١٥ إن موسى عندما ترك الأندلس ترك ابنه عبد العزيز واليا عليه وترك معه حبيب بن أبى عبيدة معينا له . ربما يوضح لنا هذا مقدمات مأساة عبد العزيز، فإن حبيبا بن أبى عبيدة كان طامحا طامعا غدارا وربما كان هو صاحب المؤامرات التى انتهيت بمقتل عبد العزيز ويؤيد ذلك أن أيوبا بن حبيب اللخمى الذى ولى الأندلس

بعد عبد العزيز أخرج حبيب بن أبى عبيدة من الأندلس فى جملة من أخرج من أهل الشقاق والفتنة.

******

تلك هى أهم النقط التى يأتينا بها هذا النص الجديد عن فتح الأندلس والمغرب ، وأعتقد أنها كلها تدعونا إلى إعادة النظر فى الأمر كله ومحاولة رسم صورة جديدة لفتوح المسلمين فى المغرب الأقصى والأندلس.

ويحق لنا هنا أن نعود فنسأل صحبنا لسان الدين بن الخطيب إن كان فتح الأندلس كما ظن فى تعاله الساذج : "مملول قصاص وأوراق ، وحديث أقوال ولإشراق ، وإرعاد وإبراق ، وعظم امتشاش، وآله معلقة فى دكان حشاش ! " [1].

---

(١) نفح الطيب (تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ م) ١/ ٢٣٠

ضميمة

نص كتاب " وصف الأندلس وتاريخه لمؤلف مجهول " (*)

باب ذكر فتح المسلمين بلاد الأندلس ومن ملكها

من أمراء العرب إلى أيام عبد الرحمن الداخل

[٤١ أ] لما أنتهى ملك الأندلس إلى لذريق القوطسى ، وأنتهت خلافة المسلمين إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكان الوليد حازما فاضلاً مواظبا(١) للجهاد ، ناظراً فى ضبط ثغوره ومصالح رعيته.

فلما ولى واستقام له الأمر أمر قواده بغزو الروم فى البر والبحر وولى على إفريقية موسى بن نصير اللخمى.

فخرج موسى غازياً من لإفريقية إلى طنجة، فلما وصل إلى طنجة بلد فرت قبائل البربر أمامه إلى المغرب والسوس الأقصى(٢) خوفا منه. فسار فى أثرهم يفتح البلاد والحصون، ويؤمن من آمن، ويقتل من كفر حتى فتح جميع بلاد السوس الأقصى. ثم رجع إلى إفريقية [٤١ ب] وقد استقام له أمر المغرب واستولى على طنجة وولى عليها طارق بن زياد وترك معه [...]

(*) أنظر صفحة ١١ من النص .

(١) الأصل موافيـــا

(١) الأصل الاقصـــا

من العرب وأثنى عشر من البربر، وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم، وتـــرك معه جماعة من القراء والفقهاء يعلمون البربر القرآن وشرائع الإسلام.

فأقام طارق بن زياد بطنجة ، ففتح الأندلس - وكان طارق من الـبربر من قبيل نفزة ، وكان محباً فى الجهاد، فعزم على غزو الأندلس.

فدعا برجل أسمه طريف ويكنى أبا زرعة، فعقد لـــه علـــى أرعمائـــة راجل [1] ومائه فارس، وجوزه إلى الأندلس فى أربعة ســـفن برســـم الجـــهاد والتطلع على أحوال الأندلس ومن بها.

فجاز أبو زرعة ، ونزل بطريف، وبها عرفت طريف إلى اليوم.

فلما نزل بطريف أغار على الخضراء فغنم وسبى وقتل، ورجع إلـــى طنجة، فأخبر طارقاً بسعة البلاد وكثرة نعمها وخيراتها، فأخذ طارق فى إنشـــاء السفن والاستعداد إلى الجواز إليها، يعنى الأندلس برسم غزوها.

فجاز إليها فى شهر رمضان المعظم من سنة أثنتين وتسعين للـــهجرة فى جيش من أثنى عشر ألف مقاتل: عشرة آلاف من البربر واثنين من العرب وسبعمائة من السودان.

[٤٢ أ] فلما جاز قدمهم بين يديه فى صـــورة مهمولـــة ، فـرأى القرطبيون صوراً مهولة أفزعتهم، فكان السودان يأخذون الأســـارى فيبحـــون منهم ويطبخونهم، ويورون من يبقى منهم حيا أنهم يأكلونهم ، فكان ذلك ممـــا أوقع الرعب فى قلوب الروم ، فخافوهم.

وقيل إنه لما جاز طارق وجيوش المسلمين نزلوا فى أصل جبل طارق وهو جبل الفتح، ثم صعد إلى أعلى الجبل، فبنى بقنته حصناً منيعاً فتحصن بـــه هو ومن معه. ولما بلغ ملوك الروم خبر نزول طارق بجبل الفتح نفـــروا إلـــى

---

(١) الأصل رحـــــل.

لذريق وكان جباراً غشوماً [....] [1] فأستنفر النصرانية وأقبل إلى طارق في جيوش لا تحصى وأمر بسريره المكلل بالدر والياقوت فشد بين بغلين أشهبين، وضربت عليه قبة من الحرير الأحمر مقصبة بالذهب، وحفت به الرجال والجيوش والأبطال. وقعد لذريق على سريره وتاجه على رأسه وفي رجليه خفان من الذهب مكللان بالجوهر والياقوت.

فلما علم طارق بقدومه إليه تلقاه بجميع المسلمين ووقدت الحرب بينهم، فبقى القتال بينهم ثمانية أيام حتى ظن أنه الفنا، وصبر المسلمون صبراً جميلاً، فمنحهم الله تعالى النصر بصبرهم، فأنهزم الروم وولوا الأدبار، وتحكمت فيهم سيوف المسلمين.

[٤٢ ب] وفر لذريق، فأدركه المسلمون بوادى الطين، فقتل هو ومن كان معه، وقيل إنه غرق في النهر، لأن المجاز كان وعراً.

وفرت الروم وقد فقدوا لذريق، ووجد خفه في النهر وصار طارق إلى قرطبة بعد قتل لذريق ففتحها، وأصاب بها من الذهب والفضة وأصناف الجواهر مالا يحصى، وأخذ فيها من السبى أثنى عشر ألف أمرأة، ثم سار إلى طليطلة ففتحها، وفتح بلاداً كثير، وكتب بالفتح إلى موسى بن نصير.

فلما وصل كتابه إلى موسى كتب إليه يعنفه إذ جاز إلى الأندلس بغير أمره، وأمره ألا يجاوز طليطلة. واستخلف ولده على إفريقية.

وارتحل يريد الجواز إلى الأندلس، ومعه بنوه عبد العزيز وعبد الأعلا ومروان، ومعه وجوه قريش وأشراف العرب والبربر [٤٣ أ] في نحو

---

(1) لفظان مطموسان

العشرين ألف فارس. فسار حتى نزل بساحل طنجة، ثم ركب [. . . .] [1] وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين للهجرة. فطلب دليلاً من العجم يدله على بلاد لم يدخلها طارق، فدله على أشبيلية وولبه وباجة وماردة.

فسار إليها ، وفتحها، وسار في بلاد الأندلس حتى بلغ إلى قلعة عوان[2] ثم إلى البلاط ثم إلى فج موسى ثم إلى لقنت، فاجتمع بطارق في أحواز طليطلة. فخرج إليه طارق وتلقاه، فعتب عليه موسى وبلغ به المبلغ الشنيع.

ثم رضى عنه وقدمه إلى افتتاح الثغور، وانصرف موسى إلى قرطبة. فعيد بها الأضحى من سنة أربع وتسعين، وقد أكمل الله للمسلمين فتحها، وذلك في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان.

ولما أراد موسى الرجوع إلى المشرق أمر بالياقوت والزمرد ، فكدس بين يديه، ثم أمر بالنار فأوقدت عليها، فكل ما صلب على النار ولم يتفلق عزله، وما تفلق تركه.

وأتى بالمائدة والتيجان والذخائر، فحمل ذلك على ثمانية وخمسين عجلة، واستخلف على الأندلس ولده عبد العزيز. وكانت المائدة من ذهب مشوب بشئ من فضة يتلون فيها حمرة وصفرة. وكانت مطوقة بثلاثة أطواق: طوق بالياقوت وطوق بالزبرجد وطوق باللؤلؤ ، وارتحل بذلك إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان* .

انتهى النص الخاص بالفتح في ذلك المخطوط.

(1) كلمتان مطموستان ، ويلاحظ أن السطر الأول من كل صفحة من هذا المخطوط مطموس عسير القراءة.

(2) المراد قلعة رعوان المشهورة ، وقد حقق أمرها فيليكس إرناندث في بحثه الذى سبق أن ذكرناه

الكشاف العام

١ – الأعـــــــلام

(أ)

(ب)

٢ - الأماكن الجغرافيـــة

٣ - الطوائف والبطون

٤ — الكتب الــواردة فى النص

فجر الأندلـــــس : ٤، ٨، ٩
القصيدة الشقراطيسية : ٤ ، ١٥
مجلة أكاديمية التاريخ الإسبانية : ٧
مختصر تاريخ الطبرى : ١٤
المغـــــازى : ٢٠
المقتبـــس : ٢٢
نهاية الارب : ٢٠

******

فهرس الكتاب

فهرس

فهرس

******

رقم الإيداع	٢٠٠٠/٢٢٤٦
الترقيم الدولي	977-5250-70-6

دار المصري للطباعة
ت ٣٨٣١٥١١ ـ الهرم

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر
ت ٥٩٢٢٦٢٠ ـ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧